رحيق الزوجات

رمضان مصطفى سليمان

إلى كل امرأة و رجل

لا تغضبوا ، و لا تتسرعوا

خلاف عائلي

طلقني

هكذا قالتها بعصبية ، و هي تكاد تبكي ، و دموعها تنساب على خدها ، و هما جالسان بعد العصاري يحتسيان الشاي كعادتهما .

نظر إليها بشدة و استغراب ، و أخذ يبحث في ذاكرته عن سبب واحد لقولها هذا ، و لما لم يجد سببا مقنع لكرامته ، قال لها :

أنت طالق .

و أخذت تبكي بشدة مرة هذه المرة ، فهي لم تكن تتوقع أن يلبي طلبها بهذه السرعة ، دون أن يسألها عن السبب ، و ما من سبب لديها غير الملل التي تعاني منه أثناء غيابه في عمله ، سبب قد يكون تافه بالنسبة للبعض، و لكنه كان حيويا بالنسبة لها و لحياتها .

ترك الشقة بعد أن ارتدى ملابسه ، و نزل يجلس على المقهى المجاور للبيت إلى أن قارب الليل الانتصاف ، فعاد إلى البيت ، و نام على الكنبة في الصالون دون غطاء .

استيقظ في الفجر كعادته ، فنزل يصلي في المسجد القريب من البيت ، ثم ذهب إلى عربة الفول ليتناول افطاره ، رغم أن ذلك لم يكن من عاداته ، ثم يذهب إلى عمله .

ما أن انتهى دوام عمله حتى قرر أن يعود أيضا بأشياء ضرورية للبيت ، و بدأت أسئلة كثيرة تدور في ذهنه ، تبدأ كلها بأداة استفهام ، أين ، أين يذهب ، أين يأكل ، أين يشرب شاي العصاري ؟ أين يرتاح قليلا و قت العصاري كما كان يفعل كل يوم ؟

♠

لمح و هو يسير في ميدان الأوبرا عربة زجاجية يعمل صاحبها سندويتشات ، فأسرع إليها و تناول نصفين ؛ نصف جبن رومي ، و نصف بيض ، و كان يفعل ذلك من قبل حين تم تعيينه في الأرياف ، حيث يقف على عربة بجوار الموقف في انتظار وصول الاتوبيس .

أخذ يتناول طعامه ببطء ، فالوقت لا يعني له شيئا الآن، و لكنه أسرع حين سمع آذان العصر ، و ذهب إلى جامع الكخيا ليصلي ، و مكث بعض الوقت للراحة ؟ و لكنه كان يعرف أن صلاة المغرب ما زالت بعيدة ، فغادر المسجد ، و أثناء سيره لمح مقهى في شارع الجمهورية فجلس فيه ، واخذ يحتسي الشاي ببطء هذه المرة ، حتى أنه كان يشربه وهو بارد .

و انتهى من شرب الشاي ، و أخذ قسطا من الراحة على الكرسي ، ثم غادر المقهى ، و أخذ يسير الهوينا حتى وصل إلى محطة مترو باب اللوق ، قرر في هذا الوقت أن يركب المترو ، و يذهب إلى حلوان ، فجلس في مقعد فارغ ما حوله ، و ما كاد المترو ينطق في رحلته حتى لمح سيدة عجوز تقف أمامه ، فاضطر أن يقوم لتجلس هى مكانه .

و من سوء حظه أن الركن الذي وقف فيه لم يغادره أحد حتى وصل المترو إلى وجهته الأخيرة ، نزل من المترو ، و أخذ يتسكع في الطرقات حتى وصل إلى الحديقة اليابانية و جلس هناك يستريح أو يخلد إلى الراحة بعض الوقت الطويل الممل .

أعجبته التماثيل الجالسة ، يقال أنها أربعين ، يقال أيضا أنهم تلاميذ بوذا ، و أخذ يفكر هل وصلت البوذية إلى مصر ، ولم يجد جوابا شافيا عنده ، فهو لم يدرس التاريخ ، و كانت دراسته للقانون كافية ، و كان تفوقه فيها خلال أعوامه الدراسية كافيا لتعينه في إحدى محاكم الأرياف .

أحس براحة جسده ، بل و غفا بعض الوقت في مكانه ، ثم غادر الحديقة حينما سمع نداء صلاة المغرب .

بعد الصلاة ركب القطار عائدا إلى باب اللوق ، و في هذه المرة جلس و لم يقلقه أحد في جلسته ، و غفا إلى أن نبهه أحد المغادرين أن هذه آخر محطة ، محطة باب اللوق .

و ماذا بعد صلاة العشاء ، مازال الوقت مبكرا ، أين يذهب ، أين يمضي شطر الليل الأول .

فكر أن يذهب إلى بيت أخته في السيدة زينب ، و يبات عندها ، و لكنه تذكر أن والدته قد ذهبت إلى دار الخلد ، و أن أخته و أولادها شياطين في صورة أطفال ، و أنه لابد أن يأخذ معه بعض الفاكهة ، و سوف تدور أسئلة لن يستطيع الاجابة عليها .، ما سبب هذه الزيارة ؟ و هو وحده ، و ليس معه زوجته ، و أخته ذكية تلمح كل شيء و هى طائرة .

كان قد وصل إلى السيدة زينب و اقترب من بيت أخته ، فقرر الرجوع من حيث أتى و قال في نفسه : يا دار ما دخلك شر ، حافظ على هدؤك .

و جلس على مقهى يشرب الشاي و القهوة ليطيل مكوثه ما شاء له المكوث .

♠

فكر أن يذهب إلى أحد الأصدقاء العزاب و الذي يسكن لوحده ، ثم عدل عن الفكرة بسرعة، لأنه لم يزر هذا الصديق منذ ان تزوج ، و لاشك أنه يعيش بحريته ، كما كان متعودا ، فبعض الشباب يعيش حياته كاملة بحرية .

♠

حينما انتصف الليل ، و فتح الباب وجد طليقته نائمة ، فجلس في الصالون ، و فكر أن يفتح التلفاز ، و لكنه عدل على الفكرة خوفا من إيقاظها ، و جلس انتظارا آذان الفجر حتى

يرحل من جديد ، و يبدأ جولته التي مارسها يوم أمس دون أن ينسى منها شيئا .

♠

وسأل نفسه :

إلى متى يستمر هذا الوضع ، إنه ارهاق لجسده ، ارهاق لنفسيته ، ارهاق لجيبه .

مشكلة هيفاء

هيفاء زوجة عدنان ، هى الأخرى انحصر تفكيرها في ترك الشقة بعد طلاقها ، و لكنها لا تعرف إلى أين تذهب .

و لأنها أنثى فهى ملزمة في تفكير محدد لا تبتعد عنه ، أ تذهب إلى بيت أمها المرحومة بعد زواجها ، و قد استوطنه أخوها هو وزوجته ، لا.

زوجته أوسه صنف من البشر لا يمكن تحمله ، بل لا يمكن الاقتراب منه ، فهى منذ تزوجت لم تنجب ، بالرغم من أن زوجها منير عرضها على عدد كبير من الأطباء ، و الكل أجمع على استحالة انجابها ، و لهذا فهي تحقد على الجميع ، و تنظر إلى الجميع نظرة غل و حقد نظرة سوداوية .

و إذا ما ذهبت إلى أخيها ، فالويل كل الويل منه ، و من الأسئلة الكثيرة التي سوف يوجهها إليها ، و هي أسئلة رغم سهولتها إلا إنها محرجة لأي امرأة ، و إذا ما تخلصت من أسئلة اخيها ، كانت الطلقات السريعة التي سوف تسددها إليها أوسه ، طلقات تدل على الشماتة .

فكرت مليا ماذا فعلت في نفسها ، لماذا طلبت من زوجها الطيب الحنون ، الرزين الوقور الطلاق ، و هي تعيش في كنفه معززة مكرمة منذ تزوجته من خمس سنوات ، بل ما زال يلبي طلبات البيت ، دون مناقشة ، بل لم يجرحها يوما برغم أنها لم تنجب .

أ هو الملل ، أ هو سجنها في شقتها ، و الخروج منها شبه مستحيل ، فزوجها يخرجها مرة واحدة في الشهر يخرج معها ، و ما هي إلا خادمة في البيت ، تنظف الغرف النظيفة أصلا ،

تطبخ لنفسها و لزوجها ،   و لا تأكل إلا ما يقيم صلبها ، و ما فائدة الشهادة التي نالتها بعد تعب و سهر الليالي .

♥

و يوم أو يومين هو يدخل و يخرج دون أن تراه ، تضع له الطعام على الطاولة ، فتجده كما هو لم يقترب منه .

يستيقظ في الفجر كعادته، و تستيقظ هي لتجد ما اشتراه من أغراض للبيت ، و بل و يترك لها مصروف البيت .

قالت في نفسها :

ليتني مت ، و لم أطلب منه الطلاق .

و هي تعرف أنه يحبها أكثر من أي شيء في الدنيا ، و يفضلها على نفسه في كثير من الأحيان ، و لا يرفض لها طلب ، مهما كان هذا الطلب و صعوبته ، و لهذا سارع بالتطليق ، ولم يناقشها في الأمر ,

بعد أسبوع من الطلاق صممت أن تبقى مستيقظة في انتظاره لتضع حدا لهذا الموقف الغريب الذي اوقعت نفسها فيه ، و أوقعت زوجها فيه أيضا .

انتصف الليل ، و لم يأت و هي ساهرة في انتظاره ، جالسه في المكان الذي ينام فيه

عندما جاء بعد منتصف الليل قالت له بدلال :

و بعدين .. سوف تتعب من السهر و من عدم النوم .

قال لها بسخرية و استخفاف :

لقد طلبتي و نفذت طلبك ، هل هناك طلبات أخرى .

قالت له باستعطاف ، و دمعة نازلة من عينها :

ردني إلى عصمتك .

نظر إليها بدهشة ، ثم قال :

ماذا ؟ .

قالت له بتذلل :

أرجوك ردني إل عصمتك ، لقد أخطأت و استحق كل ما يجري لي ، أنا آسفة .

و بعد نقاش طويل و حاد قال لها :

سنذهب إلى المأذون غدا .

و حكى القصة للمأذون ، فضحك الرجل ، و قال :

أولا يجب أن أثبت طلاقكما ثم بعد ذلك أعقد قرانكما من جديد .

و تم لها ما اردت ، و إن كان لم يتغير شيئا في حياتها ، نفس الحبسة في البيت .

هو يأتي و ينام في الصالون ، هي تحال أن تجعله ينام في حجرة نومهما دون جدوى ، رغم محاولاتها اغرائه .

♠

قالت له ذات يوم :

أريد أن أشتغل .

قال لها و هو ينظر إليها باستغراب :

أنا لم أمنعك ، بل أنت من طلبت أن تجلسي في البيت .

أخذت في البكاء ، و كان البكاء هو سلاحها الوحيد لمواجهة أي موقف من المواقف التي تعترضها .

قال لها و هو يريد أن يقطع بكاءها :

و ماذا تريدين أن تعملي ؟

قالت له و قد عاد الابتسام إلى وجهها :

سوف أبحث عن وظيفة ، سوف أعمل سكرتيرة .

ضحك بصوت مسموع و هو يقول لها :

و إذا تعرضت لموقف ما سوف تبكين .

قالت له بهدوء مصطنع :

لن أبكي مهما حدث ، لن أبكي .

لقد تعلمت درسا ، لن أنساه ، تعلمت ألا اتسرع في طلباتي . تعلمت أن أفكر أولا ، و خصوصا انك أيضا تسرع في إجابة طلباتي .

قال لها سوف أبحث لك عن وظيفة تناسبك و تشغلك ، و سأطلب منك ان تكملي درستك العليا .

ابتسمت و هي تنظر إليه نظرة حنية ، لقد تأكدت الآن أنه يحبها ، و يعمل على اسعادها .

الصلح و العمل

عادت المياه إلى مجاريها ، و استطاع عدنان أن يلحقها بأحد المدارس الخاصة ، لأحد معارفه ، كمعلمة لغة انجليزية ، و بعد اختبار قصير ، تم تعيينها مدرسة للغة الانجليزية للصف الأول الابتدائي .

شيئا فشيئا استطاعت أن تنسجم مع الطلاب ، بل جعلتهم يحبونها ، و يرددون ما تقوله بصوت عال مثلها ، بل يحفظونه من أول مرة .

و بدأ أولياء الأمور يتوافدون على المدرسة ليروا تلك المعلمة التي استحوذت على عقول أبنائهم و قلوبهم ، يحبونها أكثر مما يحبون ذويهم ، و يحبون اللغة الانجليزية ، فبدلا من صباح الخير كانت التحية (جود مورننج) ، و تسربت اللغة الانجليزية في حديثهم في البيت رغم صغر سنهم .

و التقت بأولياء الأمور هم أيضا أحبوها لجمالها و أناقتها و رقة حديثها ، صوتها العذب الموسيقي ، فأحبوها و بدأت الهدايا تنهال عليها .

لقد أحست أنها عادت إلى الحياة من جديد ، و أنها خرجت من السجن الذي كانت تعيش فيه باختيارها و إرادتها ، من السحن النفسي الذي كان يسيطر على عقلها ، و هي جالسة في البيت ، تنظف و تطبخ و تنتظر زوجها متى يعود إلى البيت ، تنظر إلى التلفاز ، و لكنها لا ترى شيئا ، و لا تسمع ، موجودة في المكان جسدا ، و لكن أين فكرها .

و لكن هناك شيئا يبعث الحزن و الكآبة في نفسها ، رغم تلك السنوات التي قضتها معه ، صحيح أنها لم تنجب ، و هي

تواقة إلى الانجاب ، هل يكون العيب فيها ، ربما ، و لكنها لن تطلب منه أن تذهب إلى الطبيب ، حتى لا تحرج نفسها و تحرجه معها .

و لكنها أخيرا طلبت من زوجها أن تذهب إلى الطبيب لتعرف السبب ، و رغم تحججه بأكثر من حجة ، إلا إنه ذهب إلى عيادة متخصصة ، و أجرت الكشف ، بل و أجرى هو أيضا الكشف ، و كانت النتيجة لا شيء لكلاهما ، و إنهما يستطيعان الانجاب في أي وقت ، لا معوقات للإنجاب .

و هكذا بدأت في العناية بنفسها ، فملابس النوم الشفافة التي تظهر مفاتنها الأنثوية ، و العطور الفواحة التي تجعلها جذابة في نظره منذ أن يدخل إلى الشقة ، بل و مداعبتها هي له كان كما كان يداعبها هو من قبل .

لقد اعطته كل شيء يتمناه أي رجل من زوجته ، الحب و الحنان ، بادلها نفس الشعور ، أحس أنه دخل الجنة التي وعد البشر بها ، و أنه هي حور العين التي وعد الله بها المؤمنين الصادقين .

و رغم مشاغلها الكبيرة في المدرسة صباحا ، و في إعداد الدرس التي سوف تتناولها في اليوم التالي ، و اعداد الطعام الشهي القوي لزوجها .

كانت تعد الطعام لليوم التالي أثناء نوم زوجها في العصاري ، و هكذا حتى عندما يعود إلى المنزل يجد الطعام جاهزا .

كان زوجها عدنان يراقبها و هي لا تشعر ، يراقبها ، و يراقب هذه التغييرات في حياتها ، في نفسيتها ، في طرق معاملتها للجميع .

كانت تتحسر على تلك الأيام التي لم تكن فيها إلا خادمة في البيت ، و ها هي الان أصبحت جارية كجوري الخلفاء و الأمراء ، بل بدأت في تعلم الغناء التي تسمعها في الإذاعة ،

أو في طريقة إلقاء الدروس في المدرسة ، و بدأت في شراء شرائط عاطفية حتى تضعها لزوجها أثناء وجوده معها في الصالة ، أو في حجرة النوم .

و لاحظ هو الفرق بين زوجته السابقة ، وزوجته الحالية ، شتان بين الاثنين ، فشعر بالسعادة تغزو بيته ، و لكنه كان يشعر أيضا بالقلق .

حينما لاحظ هذا التغيير بدأ يمد لها يد المساعدة ، يغسل الأطباق ، ينشر الغسيل ، يكوي ملابسه و ملابسها .

فأحست هي بهذا التغيير في سلوك زوجها ، فزادت من جرعة الحنان و الحب .

في المساء كانت تطفئ الأنوار كلها ، و لا تضيء ألا مصباح الأباجورة الأحمر ـ و تتزين و تضع العطور حتى تكون جذابة مغرية .

زواج عدنان من زميلته

كان في أثناء خصامه مع زوجته قد تعرف على زميلة له في العمل ، في مكتب آخر من مكاتب المحكمة ، لاحظ أنها تراقبه في المكتب ، في الشارع ، في المواصلات التي يركبها .

و تطورت العلاقة بينهما بسرعة من زمالة و تحية الصباح ، إلى صداقة حميمة ، إلى نظرات و حب ، حب جارف ملحوظ من الجميع ، لا يهم في نظره من بدأ ، المهم أنه وجد الراحة أخيرا ، و جد من ينظر إليه ، من يواسيه في آلامه ، من يستمع إليه .

كانت متوسطة الجمال ، متوسطة القامة، ممتلئة الجسد ، خفيفة الحركة ، سريعة البديهة ، ذات وجه مبتسم دائما ، و إن كانت خجولة بعض الشيء .

فاتحته هي في الزواج ، رغم علمها أنه متزوج ، و قالت له إنها لا تطمع في أكثر من سويعات في الأسبوع يقضيها معها ، يتبادلان فيها الحب بعيدا عن الكون المحيط بهما ، تعطيه من الحنان كل طاقتها المكبوتة ، و يعطيها هو ما يلزم أنوثتها من مشاعر، و أخبرته أنه لا مشكلة في سكنهما ، فشقتها موجودة ، مؤسسة بالكامل ، و لا تحتاج أي تغيير ، دبلتان فقط هي ما يلزمها ، و هي عندها مصوغاتها ما لم تستعمله أثناء عملها ، و التغيير الوحيد أن يعلن زواجهما أمام الجيران ، و أمام زملائهما ، أحس ببساطة مطالبها بأنها تحبه حبا عميقا، بل و تضحي من اجله بكل شيء .

و وافق على هذا الارتباط الغير مشروط ، و جاء العديد من الجيران ، و الجارات ، و الزملاء و الزميلات إلى حضور حفل قرانه على زميلته في حفل عائلي بسيط .

و أصبح بدلا من أن يسير في الشوارع بلا هدف ، و لا هدى ، ويجلس في المقاهي إلى منتصف الليل ، كان يقضي ذلك الوقت في أحضان زوجته الجديدة ، و متى انتصف الليل يعود إلى بيته الأساسي .

و عرفت منه أنه تصالح مع زوجته ، و أنه سيعود إلى بيته حتى لا يثير الشكوك حوله ، و لم تعترض ، فكل ما تريده هى سويعات معدودة حتى و لو بعد العمل ، تشعر فيها بالحب و الحنان و الدفء .

و أختار تلك السويعات يوم الجمعة بعد الصلاة إلى صلاة العصر ، و رضيت بذلك، رضيت أن تكون الحب البديل .

♠

ذات يوم و هما جلسان يتناجيان كعادتهما قالت له بصوت خافت يدل على كسوفها :

أنا حامل .

شلت المفاجأة تفكيره ، و لكن لا مشكلة ، و أظهر فرحة على ذلك الخبر الغير متوقع ، بل و غير مواعيده ، فبدلا من يوم الجمعة لم لا يكون في وسط الأسبوع يوم أو يومين حتى يساعدها في اعمال البيت .

و عاد إلى البيت فرحا مسرورا ، ليجد زوجته قد أعدت له أطيب الطعام ، و اثناء تناولهما الغداء قالت له و كأنها تهمس في أذنه بود وخجل :

أنا حامل .

خبران في يوم واحد ، و كأنهما خبر واحد .

و غير علامات الاندهاش التي ظهرت على وجهه ، فإنه أسرع بتهنئتها ، بل و طلب منها العناية بنفسها ، و اخبرها أنه سوف يتغيب عن البيت في أيام محددة من اجل انهاء عمله المتراكم عليه أثناء الخصام ، فسمحت له ، فهى تتأخر في المدرسة ، و بهذا يحل مشكلتها.

لم يكن يتوقع ما يحدث ، فزوجته التي ظلت لسنوات لا تنجب ، ها هي أخيرا تبشره بأنها حامل .، و ها هي زوجته الثانية تبشره بأنها حامل أيضا ,

و كأن القدر يسخر منه ، و لكنها سخرية لذيذة سوف تلتهي كل منهما في العناية بنفسها ، و بما تحلمه .

فكر برهة يجب أن يساعدهما في أعمال البيت حتى يشعرا بالسعادة .

و ليس المساعدة فقط بل راحتهما ، و البعد عما يسبب لهما الضيق و الانفعال .

و هكذا مرت الأيام دون أن يشعر بها ، أو تشعر كل منهما بها ، مرت الأيام و قد ظللت السعادة بيتيه .

ولادة في نفس الوقت

اتصلت به زوجته الثانية هناء في منتصف الليل ، تبلغه إنها تشعر بألآم الوضع .

وضع سماعة الهاتف ، و ارتدى ملابسه على عجل ، و خرج ،

كانت هيفاء تنظر إليه مستغربة من القلق البادي على وجهه !

نقل زوجته الثانية هناء إلى المشفى ، و كان الفجر يؤذن ، قالت له الطبيبة :

مازال هناك وقت ، فإذا ما استمر الوضع على ما هو عليه فسوف تجري عملية قيصرية .

و ظل إلى جانبها ، و في الصباح استأذن منها يعود إلى عمله ، و ليبلغ عن اجازة وضع لها .

و أثناء وجوده في العامل ، اتصلت به زوجته الأولى هيفاء ، و قالت له إنها تشعر بآلام الوضع ، استئذن من زوجته الثانية ، و أسرع إلى زوجته الأولى هيفاء ، و كأنه سكران ، و نقلها إلى نفس المشفى حتى يستطيع أن يتابعهما .

ضحكت الطبيبة و قالت له :

أما هذه فولادتها ستكون طبيعية .

انجبت هناء طفلة جميلة ، وضعت في الحضانة لأن أمها كانت تعاني من مرض ما .

أما هيفاء فقد وضعت صبي ، أمرت الطبيبة بوضعه في الحضانة إلى أن تتعافى أمه .

لم تمض ساعة إلا و كانت هناء تعاني سكرات الموت ، و رغم المحاولات اليائسة من الأطباء ، أعلن عن وفاتها .

قالت له الطبيبة :

حاول أن تضع الطفلة مع زوجتك الأخرى حتى ترضع البنت ، و حتى تشعر بالحنان الطبيعي .

و أحتار كيف يبلغها الأمر ، و لكنه استجمع شتات فكره ، و اخبرها بالحقيقة .

قالت له :

أظن أنك الآن سوف تذهب لتنهي اجراءات المتوفاة و دفنها ، أترك البنت في حضني ، و في رعايتي .

كان الموقف غريبا ، البعض يعزي ، و البعض الآخر يهنأ ، و هو يرد عل ذاك و ذاك ، و هو شارد الذهن ، زائغ العينين .

قالت إدارة المستشفى :

تستطيع أن تأخذ زوجتك و الطفلين .

عاد إلى البيت و هو يتوقع ثورة عارمة ، و لكن زوجته أخذت تواسيه و تخفف آلامه .

قالت و هي تكاد أن تختنق من البكاء :

أعرف إنني السبب ، لقد اخطأت في حقك ، و لكني سوف احتضن الطفلة و أعمالها معاملة ابني ، و أرجو أن تكتب اسم أمها في شهادة الميلاد .

نظر إليها نظرة شكر و امتنان ،و لم ينطق بكلمة واحدة ، و إنما بدأت العبرات تتساقط من عينيه .

مسحت تلك الدمعات بيدها ، و اقتربت منه تقبله في عينيه ، قبلة حب و مودة .

اسرع بإنهاء الإجراءات للمتوفاة ، حتى يستطيع أن يدفنها ، و في نفس الوقت انهى إجراءات خروج هيفاء ، و اصطحبها و الطفلين إلى البيت .

اجتماع عائلي

و يجتمع جميع أفراد الأسرة عند عدنان و هيفاء ، أخوها فؤاد وزوجته العاقر الحسود أوسه ، و أخته عديلة وزوجها عبد القوي .

كان الجميع يريد أن يناقش مسألة زواج عدنان بأخرى دون أن يخبرها ، بل و انجابه منها طفلة أيضا ، بل و تربية الطفلة .

تحدث فؤاد فأفاض في الحديث ، و بين الخطأ الذي أرتكبه عدنان في حق أخته .

و بدلا من أن يرد عدنان ، ردت هيفاء عليه ، و دافعت عن زوجها ، و بينت أنها هي السبب ، و إنها توافق على كل ما حدث ، و إن حدث و تزوج الثالثة فهى توافقه .

و حاولت الحسود أن تتكلم

و كيف لها أن تربي طفلين في وقت واحد ؟ .

ابتسمت هيفاء و قالت لها في هجوم شديد :

إنك لا تعرفين ذلك لأنك لم تنجبي إلى الآن ، و إذا رزقك الله ، لا قدر الله ، سوف تعرفين أن تربية طفل و طفل آخر تبعث في النفس السعادة بم كتب الله لك ، و تبعد عنك الكآبة و الملل .

و لم تنطق الحسود ، و إن ظهر عليها الغيظ و الألم من معايرتها بـأنها لم تنجب .

و لم تتكلم عديلة وزوجها عبد القوي ، بل قال عبد القوي في نبرة سخرية :

كل انسان حر فيما يفعل .

♠

انفض السامر ، و ذهب كل في طر يقه إلى بيته ، و كاد البيت يخلو من هذا الاجتماع حتى لمحت هيفاء العرق يتصبب من وجه عدنان و يرتعش ، أسرعت و ناولته بعض الماء ، ثم وضعت عليه بطانية و اثنتين .

اتصلت بالإسعاف الذي حضر و نقل المريض إلى المشفى ، و بعد علاج أولي في قسم الطوارئ قال لها الطبيب :

الحمد لله لم تكن أزمة قلبية ، و إنما هو ارتفاع حاد في الضغط ، و سوف يتم علاجه ، و إنه لابد أن يرقد في المستشفى بعض الوقت . جاءتها الاختصاصية الاجتماعية ، و سألتها عن سبب ما حدث له ، فقالت لها الحكاية بكل تفاصيلها ، فنصحتها بألا يتكرر هذا .

و لم يكد ينتهي حديثها حتى وجدت أخوها وزوجته الحسود ، و أختها وزوجها ، فطلبت منهم الرحيل فورا ، لأنهم سبب هذه الأزمة .

شتمها أخوها وزوجته ، و قال لها إنهما لم يأتيا إليها مهما حدث .

و مال عبد القوي على أذنها ، و قال لها إذا كانت تريدين شيئا ، فأنا و أخته في الخدمة ، و سوف أخذ الطفلين عندي إلى أن يقوم بالسلامة ,

رفضت هذا الاقتراح بشدة ، و قالت لهما إنها تركت الطفلين مع المربية الجديدة التي تعتني بالطفلين فترة غيابها ، و هي تتصل بها كل ساعة تقريبا .

بعد أسبوع تقريبا عاد عدنان إلى كامل عافيته ، فوجد في البيت امرأة تحمل الطفلين .

قلت له هيفاء :

لقد جلبتها من القرية لتعتني بالطفلين ، فقد عرفت إني أعمل في الصباح ، و أذهب إليك بعد الظهر .

♠

اتصلت هيفاء بأخيها و طلبته أن يأتي إليها ، و حاول أن يرفض ، و لكنها هددته إذا لم يحضر فسوف تحرر له محضر في قسم الشرطة بأنه سرق تصيبها في الميراث ، بل سوف ترفع عليه قضية تطالب بهذا الميراث المسلوب ، لأنها أكل حقها في الميراث .

ذهب لوحده دون زوجته ، و حاول أن يوبخها على ما قلته بكل وضوح إنها ستنفذ هذا التهديد . قال لها :

تعالي نتحاسب ، و أعطيك حقك و زيادة ، فلا تغضبي مني ، الظفر عمره ما يطلع من اللحم .

قالت له و هى تحاول أن تسيطر على نفسها :

يطلع ، لما أنت وزوجتك تهينوا زوجي ، و الحمد لله أنه لم يرد عليكما ، لقد ارتفع ضغطه و كاد أن يفارق الحياة لولا ستر ربنا الرجل لم يؤذي أحد ، فلماذا تؤذوه .

قال أخوها :

لقد حاولت أن أبين له الخطأ الذي ارتكبه في حقك ، و لكنك أهنت الجميع .

ثم أردف يقول في لطف زائد :

خذي هذا المبلغ ، أنت محتاجة الان فلوس للعلاج ، و لما أعصابك تهدأ سوف نتحاسب .

أوسه الحسود

كانت الحسود وزوجها يغليان من الغيظ ، فهذه ثاني إهانة تصيبهم ، و لابد أن يرد لأخته تلك الإهانة .

أما الحسود كما كانوا ينادونها دون خجل أو مواربة ، فقد صممت أن تنتقم من الجميع . و لكن ثورتها كانت تنصب دائما على زوجها ، سواء أكان مخطئ أو غير مخطئ .

قالت له بغضب :

الجميع يهينوني و أنت لا تدافع عني ، و كأني لست زوجتك

حاول أن يتكلم و لكنها لم تعطه الفرصة ، قالت له بعصبيتها :

سوف ألقن الجميع دراسا ، تعالى نذهب إلى الطبيب لتعرف العيب مني أو منك ,

قال لها :

لقد ذهبنا إلى أكثر من طبيب ، و ماذا كانت النتيجة ، قالوا جميعا بعد التحاليل إنني سليم ، و أنت تحتاجين إلى علاج ، و ان تستمري فيه لفترة قد تطول .

❖

كانت الحسود أكول ، تنسف ما أمامه من أطباق خضار و أرز و سلاط و خبز ، فإذا ما مسحت الأطباق كأن لم يكن فيها شيئا ، اتجهت إلى الفاكهة، تعب منها ما بها .

بعد أن تنهي أعمال البيت اليوم كانت تجلس أمام التلفاز تشاهد أي شيء ، و يدها على الرموت تحرك به القنوات ، و هي في خلال هذه الجلسة تتسلى بالمكسرات من لب و فول و جوز و لوز ، ثم تتماطع و تذهب إلى السرير لترتاح من هذا الإرهاق التي لا تعانيه .

❖

كان فؤاد يسكن في الشقة التي تركتها امه في بيتها ، على أن يعطي أخته إيجارا شهريا عن الشقة و البيت و المحلات، و لكنه لم يفعل ، رغم أن أخته لها نصيب مما تركته أمه . و قد قدر بالثلث بعد أن اعطى أختيه نصيبهم من الميراث .

و رغم ذلك كان يمد يد المساعدة لهن .

و كانت هيفاء لا تطالبه بما تركته لهم أمه و من قبل أبيهم ، فهى و الحمد لله قبل أن تعمل مدرسة ، كان زوجها عدنان يكفي البيت من كل شيء ، بل قال لها :

لا تأخذي من أخيك شيئا .

و بعد تلك الأحداث الأخيرة اتصلت به ، و طالبته بأن يسدد ما عليه .

حاول الاعتذار بأن ما يكسبه من المقهى لا يكاد يكفي بيته ، و لكنها هددته بأنه سوف ترفع عليه قضية . فوعدها ان يعطيها في أول كل شهر نصيبها من الايجار .

و حاولت الحسود أن تقلب عليها أخيها ، و لكنها حذرتها بأنه سوف تذهب إلى قسم الشرطة ، و تقدم بلاغا بأنها أهانتها ، و أن أخيها يأكل حقها .

❖

كان فؤاد يعيش مما تغله المقهى ، و محل الخضروات اسفل البيت . كان ينزل حين يؤذن لصلاة الظهر ، و يجلس أمام المقهى ، و كان الصبي يأتي له بكوب القهوة .

في محل الخضروات كان يقف صبي آخر يبيع للزبائن ما يحتاجونه من الخضروات و الفاكهة .

و رغم ذلك كان هناك شاب آخر أخرس يأتي و يجلس مع المعلم فؤاد ، و لا يتبادلان الحديث .

❖

تذكرت الحسود أنها تقدم لها أكثر من عريس ، هي لم ترفض أي منهم ، و لكنها كانت تعاملهم معاملة بخشونة ، فيضطر كل منهم أن ينسحب قبل أن يغرم الكثير ، و ذاعت شهرتها في الحي ، بل في الأحياء المجاورة .

تقدم فؤاد لخطبتها رغم أنه يعرف ذلك كله من أبوها صديقه ، و كان تفكيره كله امرأة في البيت تكنس و تطبخ و تغسل ليس أكثر من ذلك .

و حينما قال له والدها :

بما إن عندك شقة فلن نطلب منك شيئا ، بل سوف نرسل لكما ملابسها كلها ، و نحن لا نطلب شبكة و لا مهر، المهم أن تذهب إلى بيتك ، و تخرج من بيتي .

و لكنه في اليوم التالي أخذها لوحدها لتشتري دبلة و ثلاث غوايش ، و حلق و سلسلة.

لقد فرحت كثيرا فهو أول إنسان يجعلها تختار ما تشاء من شبكة ، و متى في اليوم التالي لخطبتها ،

و فرح أبوها ، لهذا الكلام ، و لكنه أضاف شرطا آخر أن يكون الفرح يوم الخميس ، و أنه سيكون فرح على القد ، الأقارب و الجيران فقط ، و ان هذا الفرح سيكون على حسابه هو ، فيكفي ما أحضر فؤاد من شبكة .

و بالفعل تم عقد القرآن ، و أخذ فؤاد عروسه إلى بيته ، وكانت أوسه في قمة السعادة .

و كان أبوها يشعر بأن حمل و انزاح عن كاهله ، بل ما كان يسبب له نكد دائم .

في الصباحية لم يزرهما أحد ، فقد تعودنا عليه من أن أهل العروس تأتي بصينية فيها ما لذ وطاب من الأطعمة ، و لكنها لم تحضر ، و اضطر العريس أن يطلب من أحد المطاعم فراخ مشوية ، و حمام مشوي .

❖

كان والدها يريد أن يتخلص منها ، فقد أصبحت عانس كما يقولون ، و هو يريد أن يزوجها حتى ينتبه إلى أخواتها البنات الأصغر منها ، قبل أن يصبحن عوانس مثلها .

و لهذا وافق دون شروط ، و دون أن يحدد مهر أو مؤخر، دون أي شيء مما يطلبه أهل العروس .

وافق لكي يبعد عنه هذا الصداع المزمن الذي كان يؤرق أيامه و لياليه .

❖

طلب منها ذات يوم أن تتجهز لزيارة أهلها ، فأعلنت رفضها التام لهذه الزيارة ، قالت :

أنا لن أزورهم حتى واو كان عندهم ميت.

و صمت ، و انطلق يزور أهلها و أخوته مجاملة ، و لكنه فوجئ ببرودة الاستقبال ، فقرر أن يشرب الشاي و ينصرف .

أما أخته فقد استقبلته بحفاوة ، و أن سألته لماذا لم يأت بزوجته ، و تحجج بأعمال البيت .

❖

و هكذا مرت السنة الأولى بحلوها و مرها ، و حينما لم تظهر إي علامة من علامات الانجاب ، طلبت من زوجها أن يصحبها إلى الدكتور ، و كانت النتيجة مخيبة للآمال بالنسبة لها ، هو سليم ، و هى تحتاج إلى علاج قد يطول ، هكذا قال كل الدكاترة .

رجعت إلى البيت ، و هي تبكي بحر قة ، و تكاد تنفجر من الغيظ ، و لكن زوجها فؤاد قال لها أن تتعلق بالأمل .

مرت سنة و اثنين و ثلاث و اربع و لم تكن هناك نتيجة مبشرة بالأمل .

أما فؤاد فقد كان مبسوط كل الانبساط ، فهو لا يريد ها أكثر من خادمة في البيت تطبخ و تنظف و تغسل ، و لا داعي للخلفة .

❖

في نفس الوقت تعرف فؤاد على أم الشاب الأخرس الذي يجالسه كل يوم ، و يشرب الشاي بالحليب ، ثم ينصرف و معه البضاعة ، لقد كانت أن أم الصبي جميلة جمال لا يوصف ، مات زوجها ، فأصبحت تعتني بطفلها الأخرس ، و هي لا تريد أن تأتي له بزوج أم حتى لا يهينه في كل الأوقات ، أو يعايره بهذه العاهة .

لقد لاحظت أن المعلم فؤاد يعامل ابنها معاملة حسنة ، كأنه صديقه ، أو أخوه الأكبر ، بل أصبح أهم صبيانه .

و لاحظت أيضا أن المعلم فؤاد ينظر إليها نظرة اشتهاء ، بل اشترى البيت الذي تسكن فيها ، تمهيدا لقادم الأيام ، و لم يأخذ منها او ابنها ايجار .

قالت له ذات مرة و هو ينظر إليها بشغف ، و عيون تكاد تخرج من محاجرها :

معلم فؤاد ارجوك لا تنظر إلي هذه النظرات ، فلن تطول مني شعرة إلا في الحلال .

صحيح انه انصرف ، و لكنه أتى و عرض عليها الزواج بعقد عرفي ، لكنها رفضت ، و قالت له :

عند مأذون شرعي و شهود ويعرف الحي كله إنك تزوجتني ، أنا لا يهمني فرح أو فستان أبيض .

و فكر قليلا من الوقت ، ثم ذهب بها إلى المأذون ، و اخذ معهما شاهدان من الحي .

حينما عادا إلى البيت ، و جد الجيران في الشقة يطبلون ، و يغنون . و هكذا تم الزواج . و لكن بشرط هو أن يأتي إليها كلما سنحت له الفرصة .

زواج عبد القوي من عديلة

عبد القوي كان شابا يعمل عند أم عديلة ، فقد كان وحيدا لا أهل له كما يقول ، و هو يبات في الدكان بعد أن تغلق عليه أم عديلة الباب إلى الصباح .

و فجأة طرأت في ذهن أم عديلة فكرة ، لماذا لا تزوج عبد القوي من ابنتها عديلة، فهى تعرفه ، أمين ، و رجل يعتمد عليه ، و هو سوف يصون ابنتها لأنه طيب ، و هادئ .

حاولت عديلة أن ترفض ، رغم أنها حاولت أت تقيم علاقة مع عبد القوي ، و لكن أمها صممت قائلة لها :

إنه مناسب لك ، فإلى الان لم يأت عدلك ، و لا أريد أن أموت دون أن أراك في بيت العدل ، و أرى أولادك يعلبون أمامي ، و يمرحون .

وأخيرا وافقت على أن تتزوج عبد القوي ، بعد أن عرفت أن أخاها هو الآخر موافق على هذه الزيجة ؟

وافقت لأنها كانت تأخذ السنة في سنتين ، و افقت حتى تتخلص من التعليم و قرفه .

♠

أخذته ذكرياته بعيدا عن تلك البنايات الاسمنتية العالية التي تتعالى في المدينة ، ذهب إلى قريته حين كان يعيش مع أسرته سعيدا في تلك الأراضي الزراعية الخضراء ، و الهواء النقي الذي ينعش الصدر .

و بعد أن ولد أخيه الصغير حدث ما لم يكن في الحسبان قتل جده ، و أباه ، أخذا بالثأر .

لقد عهدت إليه أمه أن يأخذ بثأرهما من قاتليهما المعروفين لديه ، و لدى أفراد قبيلته ، و لعله فكر حين ذلك أن هذا المسلسل لن ينتهي أبدا ، فإذا ما أخذ بثأره ، فلا بد من أن يأتي الدور عليه ليقتل ، فالثأر في الصعيد من العادات و التقاليد .

♥

انسل خارجا في عتمة الليل ، بعيدا عن القرية و ها هو يصل إلى المركز ، و لكن هذا لا يكفي فسوف يعثرون عليه لا محالة ، بل سوف يعود إلى قريته ليأخذ ثأره ، و ثأر عائلته .

و ركب القطار إلى حيث يلقي به إلى ابعد مكان من قريته ، إلى القاهرة ، حيث يتوه في هذا الزحام المتلاطم ، و هناك لن يجدوه وسط هذا العمران ، وسط الملايين من البشر ، و هذه الكثافة البشرية من الناس تحميه ، هناك سوف يعيش في أمان أطول فترة ممكنة .

جلس أمام دكان ، و قد اشترى منه ما يسد جوعه ، و ظماه ، لمحته صاحبة المحل ، فأشفقت عليه ، و سألته عما به ، و لكنه لم يجيبها بما في صدره ، و قال لها :

لقد توفي أبي و أسرتي ، و أنا هنا أبحث عن عمل ، ومكان استر فيه جسدي من حر الصيف و برد الشتاء ، و قضاء الحاجة كل يوم .

أحست بالشفقة الممزوجة بالحنان ، و قالت له :

ما رأيك أن تعمل في هذا الدكان ، و في الليل سوف تنام فيه ، بعيدا عن حر الطريق و برده .

و هكذا وجد المأوى ، و عاهد نفسه أن يستتر فيه بعيدا عن عيون قريته التي سوف تبحث عنه .

♠

خمسة عشر عاما ظل في هذا المكان ، يشعر أنه ابن لهذه السيدة التي عطفت عليه ، و أكرمته ، و أعطته من حنان الأم ، رغم أنها عندها ولد وبنت ،

حاولت ابنتها و هي في سن المراهقة أن تجذب إليه نظرها ، أن يميل و يملأ الفراغ في قلبها الغض الفارغ، و لكنه ظل وفيا للمرأة التي سترته ، ولابد له أن يستر شرفها .

♠

فجأة ، و قد لمحت أن ابنتها تنظر إليه نظرات الوله ، وهو يغض الطرف عنها.

أشارت إليه أن يتزوج ابنتها ، فيحافظ عليها من مراهقة الشباب ، و لم تمهل في الصراع النفسي الذي يعيش فيه ، فقد حددت موعد الزفاف ، بل أشارت عليه أن يصعد بعد عقد القران فيحتل مكانه في شقتها . و سأل أخاها ، فوافق على اختيار أمه ، و خصوصا أنها كانت تعامله كابن لها .

و تم عقد القران في فرح بسيط في الشارع ، أمام المحل نصبت بعض الكراسي للرجال ، أما السيدات فيصعدن إلى الشقة ، حضر إليه الجيران و أهل الحي ، و صعد إلى الشقة التي لم يدخلها أبدا ، طوال هذه المدة الطويلة من عمره معها .

و فرحت الأم حين وجدته كما عهدته دائما ، و زاد فرحها حين انجبت أبنتها المولود الأول ، الذي سماه على اسم أبيه . بل زاد فرحها حين انجبت ابنتها فتاة جميلة سماها على اسم أمه ،

وزاد فرح الجميع حين انجبت صبي ثالث ، و فسماه على اسم أبيها .

♠

و فجأة بدأت الحزن ينساب إلى البيت شيئا فشيئا ، فالأم التي كانت ترعاه قد توفيت ، و ينتقل أخيها وزوجته إلى بيت جديد ، صحيح انه ليس بعيدا عن هذا البيت , لكنه أصبح هذا البيت له ولزوجته و أولاده .

♠

ذات صباح بينما كان يقف في محله إذ دخل عليه شاب يرتدي جلباب غامق ، و قف الشاب أمامه و سأله :

هل انت عبد القوي ؟

و استغرب من السؤال ، لكنه تملك نفسه ، و أجابه و هو ينظر إليه بوجس :

نعم .

فرد عليه الشاب :

انا أخوك .

دون أن يدري اخذه في حضنه ، و أخذ يلثمه في كل مكان في وجه ،ثم انتبه إلى ما يفعل .

و لم يعطه أخوه فرصة بل قال له :

لقد بحثت عنك في كل مكان ، إن أمك و أعمامك يطالبوك بأخذ الثأر لمقتل جدك و أبيك .

♥

لم يفكر طويلا ، كان يعرف أنه لابد يأخذ بالثأر مهما طال الزمان ، و ها هو أخيه قد وجده ، فلابد ، أنه هم أيضا

يبحثون عنه ، و في القريب العاجل سوف يجدونه ، و أنه سوف يقتل إذا وجدوه ، فلا مفر من أن يبادرهم .

♥

طلب من أخيه أن يرقد في الفراش الموجود في المحل ، و أنه سوف يغلق عليه إلى أن يعود .

أغلق المحل على أخيه ، و انطلق بسيارة الربع نقل التي يحضر بها بضاعة المحل ، و أخذ ينهب الطريق نهبا إلى أن وصل إل قريته ، كان الجميع نيام ، و لكن الحراسة من الخفر ، و بعض الأهالي ، اتجه إلى حقولهم ، و سكب البنزين علي الحقول ، و شعل النيران في عدة أطراف ، ثم عاد إلى سيارته ، و انطلق قافلا من حيث أتى .

وصل قبل الفجر إلى منزله ، و نام سريعا ، ثم رأى زوجته و هي تعد طعام ، فأخبرها أن أخاه في المحل ، وأنه سيأخذ الطعام إليه ، و لكنها طلبت منه أن يأتي بأخيه ليفطر معهم ، و بالفعل نزل و فتح المحل و أحضر أخاه ، و تناولوا الطعام ، و على وجه ابتسامة عريضة .

أراد أخيه أن ينصرف ، و لكن زوجة أخاه قالت له :

لا لن تنصرف ستكون ضيفنا هذه الأيام ، حتى يعرف الأولاد أقاربهم ، لقد كانوا يعتقدون أن ليس لهم أعمام ، بل ليس لهم أقارب يسألون عنهم .

نزل مع أخيه إلى المحل ، و شرح له ما حدث في الليل ، و أنه كبداية حرق بعض حقولهم ، و لهذا فلن تعود إلى القرية الآن ، و أنه سوف يبقى هنا إلى أن ينتقم و يأخذ بالثأر .

♥

في القرية كانت النيران تنقل بسرعة مع شدة الرياح ، و لم تفلح محاولات الأهالي في السيطرة عليها ، و جاءت المطافئ ، و حاصرت النيران بما يملكون .

حينما جاءت الشرطة و النيابة للتحقيق في هذا الحادث ، و سألت كل من في العائلتين ، و لم تصل إلى نتيجة و تركت التحقيق مفتوحا ، و خصوصا أن الطرف المجني عليه ، فلم يدلي بأقوال تدل على من فعل ذلك .، و لم يتهم أحد من القرية ، لأنهم يعرفون أن الابن الكبير غادر القرية منذ سنوات ، و الابن الصغير كان يذهب إلى المركز حيث زملاءه في الجامعة.

و من المعروف أن من يأخذ الثأر أحد أولاد القتيل ، و لهذا ظل الفاعل مجهولا لدى الجميع ,

قصة حب

لفت نظر عدنان تلك الفتاة التي تسير مع رفيقتها شامخة الأنف متعالية القامة ، و فوق ذلك فائقة الجمال و الأنوثة ، و ظل يتبعها كل يوم صباحا ، و هي تذهب إلى المدرسة ثم الجامعة ، و ازدادت المراقبة ، فلم يتغير موقف الفتاة و لا سلوكها .

كانت تعرف أنه يتبعها في كل حركة من حركاتها ، ولكن لم تحرك ساكنا ، بل لم تفتح الباب أمامه ليحدثها .

أعجب عدنان بها ، بل قل أحبها ، و ها هو يستشير أخته في أمرها ، بل أن أشار إليها ، قالت أخته له :

إن الوقت مازال باكرا حتى تشغلها بحبك ، و لكن كن ظاهرا أمامها في كل وقت ، و ابتسم مرة و أخرى ابتسامة اعجاب ، حتى تلفت انتباها إليك ، و سوف أعقد صداقة معها دون الإشارة إليك .

و فعل ما قالت أخته ، و أن كانت الامتحانات على الأبواب ، فاحتجبت ، وتوارت ولم تظهر ، و كاد أن يفقد صوابه ، و لكن أخته نبهته إلى أن وضعه قد يؤدي إلى روسبه ،و أن عرفت هى إلى روسبها أيضا ، و هي في شهادة و تحتاج إل التركز .

و رغم ذاك فد كان يراقبها ، و هي تذهب صباحا إلى امتحانها ، و قد عرف اسمها من أخته .

و انتهت الامتحانات و اختفت هيفاء عن الظهور ، حتى كان إعلان النتيجة ، و نجاحها ، حين ذاك اقترب منها و هنأها على نجاحها .

و بدأ العام الجامعي الجديد ، فإذا به يجدها في نفس الجامعة بل في نفس الكلية ، و الفرق بينهما ثلاث سنوات ، و أخذ يتقرب منها رويدا رويدا ، و أخذت هي في حذرا تتنبه إلى خطورة هذا الاقتراب خارج أسوار الجامعة .

كانا يلتقيان في الساحة المقابلة للكلية أو في الكافتيريا ، أو في مكتبة الكلية شبه الخالية ، لقاء شبه عابر يتبادلان فيه الحديث ، ثم يفترقان كل إلى محاضراته .

حاول أكثر من مرة أن يسير معها في الطريق المؤدي إلى البيت ، و لكنها طلبت منه ألا يفعل حتى لا يجرح أحد شعورها ، و يقول عليها ما لا تريده .

سنتين من التقرب و الحديث المتبادل ، و شعور جديد بدأ ينتابها ، أحست أن قلبها قد بدأ ينبض بحبه ، و لكنها تعرف جيدا أن تقاليد الناس في حيهم لا تبيح هذا الحب في الطرقات .و لهذا ظلت على موقفها ، لقاءات في الكلية فقط .

سألها ذات مرة أنه يريد أن يتقدم لخطبتها و لكنها قالت له أن ذلك لابد أن يكون بعد أن تنتهي من مراحل التعليم .

ثلاث سنوات آخريات كان يقابلها ، بعد أن توظف ، كان يقابلها بعد انتهاء دوامه في الريف، و كانت تنتظره في أماكنهما المعهودة دون تغيير .

و أخيرا انتهت فترة الدراسة ، ذهب إلى أمه و معه أخته ، و قال لها إنه يريد أن يتزوج من فلانة .

ضحكت الأم و قالت له إني أعرف إنك تريد أن تتزوج من هيفاء التي تسكن في آخر الشارع ، و سوف أذهب أنا و أختك إلى بيتهم لفتح الموضوع .

و بالفعل ذهبت الأم ، و بالفعل تمت خطبة عدنان و هيفاء في حفل عائلي بسيط ، وحددت أم هيفاء موعد الزفاف ، حتى لا تترك فرصة السير في الشارع ، أو لقاءات تلوك سمعة ابنتها .

و تم الزفاف في الشارع نصبت خيمة و سهر أبناء الحي و بناته إلى الصباح في هذا الفرح .

قالت له هيفاء :

لا أريد أن اشتغل الآن ، أريد أن اتفرغ لإعداد رسالة الماجستير ثم الدكتوراه ، و عليك أن تفعل ذلك أنت أيضا ، و وافق على شرطها .

في أول الأمر كان الوفاق بينهما على ما يرام ، كانت تخرج كل فترة لتذهب إلى الكلية ، و تقضي بعض الوقت مع الدكتورة المشرفة على الرسالة .

و بعد أن أخذت الرسالة بعد أربع سنوات ، أحست بفراغ هائل ينتاب حياتها ، فراغ و قلق ، و عصبية بدأت تظهر على تصرفاتها مع الجميع .

ثم فجأة طلبت من عدنان أن يطلقها .

بلاغ كاذب

وقفت عربة الشرطة أمام المقهى ، و نزل الضابط ، و تقدم من خلفه الجنود ، و سأل المعلم فؤاد عن الممنوعات أين يخبأها ؟

استغرب فؤاد للسؤال ، و لكنه تمالك نفسه ، وقال :

أظن أن هناك خطأ ما ، فأنت كم ترى المقهى فيه عدد قليل من الزبائن ، و نحن لا نملك حتى الشيشة ، فكل ما نقدمه لزبائننا هو الشاي و القهوة ، و بعض المشروبات الساخنة و الباردة .

و أمر الضابط جنوده أن يفتشوا المقهى ، كل ركن فيه بعناية شديدة .

و انطلق الجنود يبحثون ، و أخذ هو يبحث في مقعد المعلم فؤاد ، فلم يجد هو و جنوده شيئا .

و طلب الضابط من المعلم فؤاد أن يصحبه إلى بيته للتفتيش ، فاصطحبه ، و سأله و هو في الطريق :

ما سبب هذه المداهمة ؟

قال الضابط بهدوء :

لقد قدمت شكوى بأن المقهى يتاجر في الممنوعات .

و ضحك فؤاد ، وقف أمام البيت ، صعد درجات السلم إلى الشقة ، وفوجئ الضابط بالسيدة التي قدمت البلاغ ، فهز رأسه ، و أمر جنوده بتفيش الشقة تفتيشا دقيقا .

و عندما لم يجد الضابط شيئا قال لفؤاد :

غدا سوف تأتي إلى قسم الشرطة ،لنكمل المحضر الكيدي المقدم ضدك .

♥

كان في الطرف المقابل للمقهى يجلس الأخرس و أمه أمام المحل و يريان ما يجري .

قالت الأم لابنها أرجو ألا يأتوا إلى بيتنا .

و بالطبع لم يجبها الأخرس و لكنه ضحك . ، و هي تعرف أنه لن يجيبها ، و يكفيها أن يهز رأسه .

♥

بعد أن انصرف الضابط و جنوده ، صعد فؤاد إلى الشقة ، و قال لزوجته و الغيظ يملأ رئتيه ، و يكاد الغضب يعمي عينيه :

لو طلقتك ، و طردتك من البيت ، فأين ستذهبين ، أبوك لا يريدك ، و أخوتك قد ملوا من تصرفاتك .

و ضحك و استرسل في الحديث :

و لكني لن أطلقك و لن أطردك ، بل سوف أبقيك في هذا البيت كسجن لك ، وحيدة منبوذة .

و تركها و لم يسمع ما تريد أن تقول ، و نزل إلى المقهى ، و جلس في مكانه ، و أشار إلى صبي المقهى أن يذهب إلى الأخرس و أمه و يقدم لهم الشاي .

♥

ابتسم الأخرس ، و قد فهم ماذا يريد معلمه ، و كذلك فهمت زوجته الثانية مراده .

بعد أن أغلق المقهى صعد إلى زوجته أوسه ، و ابتسم لها ، وقال في برود أعصاب :

سوف أكون ضيفك هذه الأيام .و دخلت غرفتها ، و دخل وراءها و أخذ بعض الأغطية ، ثم خرج و أغلق عليها باب الغرفة بالمفتاح ، و قال لها بسخرية :

سوف أفتح لك في الصباح لتعدي لي الإفطار ، و كأن شيئا لم يحدث منك .

في الصباح بعد أن تناول إفطاره ، قل لها و هو يضحك :

سوف أرسل لك طعام الغداء جاهزا حتى لا تتعبي في تحضير الطعام، و غدا أو بعد غدا سوف أرسل لك خادمة أو خادمتين لتعتنيا بشئون البيت ، حتى لا تتعبي ، فأنا أريد راحتك .

و اخذت في البكاء و الصراخ العالي ، وهو يضحك ملء شدقيه .

و قال وهو يغادر الشقة :

طبع و لن تملي أبدأ منه .

♥

في قسم الشرطة استكمالا للمحضر قال الضابط ، أظن أن هناك سوء تفاهم بينك و بين زوجتك ، و لهذا قدمت فيك البلاغ الكيدي.

قال فؤاد و هو يبتسم :

ليس هناك شيئا بيننا ، و لكنها معتادة على تؤذي أقرب الناس إليها ، ليس أقاربنا فقط ، بل الجيران أيضا .

و أغلق الضابط المحضر ، و قال له :

خلي بالك منها ، و نحن سوف نراقبك حتى نتأكد من البلاغ .

قال وهو هادئ :

الحمد لله ، لا شيء أخاف منه .

♥

حينما عاد إلى المقهى ، وجد أبوها جالسا ، فطلب له شاي ، قال الأب لزوج ابنته :

لقد نبهتك ، و أرجو أن تحافظ على هدوءك .

قال فؤاد و هو يضحك :

اطمئن . سوف أحبسها في البيت ، و لن ترى الشارع مرة أخرى ، و لن تخرج من البيت إلا إلى القبر .

ابتسم الأب و قد عرف أن أبنته لن تعود إليه ، و لن يطلقها فؤاد .. ليس حبا فيها ، و لكن أدبا لها .

و انصرف الأب بعد أن شرب الشاي ، و نادى فؤاد الجرسون ، وقال له :

اذهب إلى البيت الثاني ، و قال لها أن تبحث عن امرأتين فقيرتين لتعيشا مع زوجته .

و لم تمض إلا ساعة حتى كان أمامه امرأتين غليظتين الجثة ، يبدو من مظهرهما أنهما رب سجون ..

ضحك و عرف أن زوجته الثانية تريد أن تنتقم من ضرتها المنبوذة .

حينما صعد للغداء قال لها :

كملي جميلك ، و ابعثي المرأتين إلى ضرتك ، مع التنبيه عليهما بألآ تغادرا البيت مهما حدث ، بل لا تغادر إحداهما غرفة النوم ، و إن استطاعت أن تدخل معها الحمام ، فتدخل .

قالت له بسخرية :

حرام عليك ، ده برضه مرتك ، و برضه انسان ، خليك رحيم عليها .

ضحك ضحكة عالية ثم قال :

الحمد الله أنهم لم يجدوا شيئا في البيت .

قالت له :

و ها في بيتي شيئا .

ابتسم و قال بجدية :

أنا بحبك .

فؤاد وزواجه

كانت حياة فؤاد في طفولته مملوءة بالمشاكل ، أبوه كان قوي الشخصية ، مسيطر على أمه سيطرة كاملة ، حينما يدخل البيت يسوده الهدوء التام و السكون ، لا حركة ، لا كلام حتى يستيقظ من نومه .

في هذه الاثناء يؤدي كل واحد من أفراد العائلة واجباته المدرسية ، هو ، و ثلاث بنات .

فإذا ما استيقظ الأب حتى يتحلق حوله الأبناء و هو يشرب القهوة ، يستمع إلى كل واحد في إجابته عن السؤال المكرر للجميع ، ما عدا الأم . و ينطلق كل واحد في سرد أحداث يومه ، حتى إذا ما انتهى من ذلك ، عاد إلى الخروج من البيت للقاء الأصدقاء في المقهى الذي يملكه ، رغم أنه كان موظف في الحكومة ، و صبيانه هم الذين يديرون المقهى .

ذات يوم تجرأ فؤاد ، وقال له لأبيه :

سيادتك تسألنا كل يوم لتعرف أخبارنا ، و لكن لماذا لا تسأل أمي نفس السؤال .

ضحك الأب بقهقة عالية ، و قال له بسخرية :

سوف تقول إنها كانت في المطبخ تعد طعام الغداء ، ثم تذهب بعد ذلك لترى غرفكم ، ثم تجلس أمام التلفاز .

ثم نادى زوجته و قال لها :

ماذا فعلت اليوم ؟

استغربت الأم استغرابا شديدا و اندهاشا ، فهذه أول مرة يسألها هذا السؤال، لكنه أجابت بصوتها الهادئ ، فكان كلامها كما قال أبوه ، و ضحك الأب و أبنه .

♥

كانت علاقة فؤاد بأخواته البنات متذبذبة ، هن يتشاجرن بسبب أو غير سبب ، و أحيانا تصدر ألفاظا غير لائقة ، فيقوم في محاولة لضرب من تلفظت بهذه الكلمات ، و لكن البقية يمنعنه من ذلك ، ويضحك الجميع ، و تعود المياه إلى مجاريها .

♥

و فجأة توفي الأب بصدمة قلبية ، و مات في فراشه . و استطاعت الأم أن تنهي جميع الإجراءات و تقوم بدفن زوجها ، رغم أن له أخوة ، و لها أخوة .

و لكنها كانت قد قاطعت الجميع منذ فترة طويلة ، بسبب تعليمات زوجها الا تختلط بأحد حتى الجيران .

أرادت الأم أن تقوم بدور الأب في تربية أبنائها ، و لكنها لم تستطع ، فقد سلبها زوجها قوة شخصيتها ، و أصبح الأولاد يردون عليها بكل وقاحة و بصوت عالي ، و يعصون أوامرها و طلباتها .

و هكذا كان فؤاد هو المسيطر على البيت ، قوة الذكورة التي تعودنا عليها في مجتمعنا . لم يمد يده و يضرب ، لم يخرج لسانه يشتم أو يسب ، لقد كان يقلد والده ، كان ينظر إلى من يخطأ نظرة قوية تجعل من يقف أمامه يخاف و يرتعش .

ورغم ذلك فقد كان احتجاج الأم و البنات في بعض الأحيان في محاولة لتقويض هذه السيطرة ، و لكن كل ذلك يذهب أدراج الرياح و يعود فؤاد هو المسيطر القوي .

♥

كان قد ترك الدراسة و نزل إلى المقهى يديره ، و كان يقلد أبوه في كل حركاته و سكناته ، ينام بعض الوقت بعد الغداء ، ثم يستيقظ و يسأل الجميع عما فعلنه ، و بالطبع لم يكن يسأل أمه كما كان يفعل والده .

كان يشتري أغراض البيت و يرسلها مع الصبي ، الفتى الأخرس إلى البيت .

زوج أخته الكبيرة حين تقدم إليها شاب من الحي ، و وافقت أخته على الفور حتى تتخلص منه ، و من هذه الحلقة المفرغة ، و الأسئلة المتكررة حين تدخل أو تخرج .

و قد جهزها بأحسن جهاز .

و لم تمض فترة طويلة حتى أعلنت أنها سوف تهاجر مع زوجها إلى كندا ، فاضطر فؤاد أن يشتري نصيبها في الميراث ، و دفع لها ثمن تذاكر الطيران لها و لزوجها، و أعطاها فوق ميراثها دولارات .

أما الوسطى فقد قالت لأمها إنها لن تتزوج حتى تكمل تعليمها ، و لكن كيف تكمل تعليمها و هي تأخذ السنة في سنتين ، و رغم ذلك صبر عليها ، إن كانت تشعر أنها مخطئة .

و تقدم لها شاب من شباب الحي ، فجهزها أخوها أحسن جهاز كأختها ، و اشترى لها كل ما يلزم للبيت ، و لها من ملابس للبيت و للخروج .

و أيضا لم تمض فترة على زواجها ، حتى تقدمت لأخيها بإعطائها نصيبها في الميراث ، و طلبت من بعض رجال الحي أن يقيموا ميراثها ، و بعد أخذ ورد قال الرجال كلمتهم ، فأعطى أخته نصيبها الذي حكم به الرجال ، بل زاد عليه وقال لها :

عن هذا البيت بيتك أيضا تأتين متى شئت .

فقالت له أمام الجميع :

لقد استحملتك أكثر من اللازم . و لا أعرف كيف ستكون زوجتك .

فضحك ، و ضحك الرجال .

أما الصغرى فقد كان النجاح حليفها ، ها هي تنهي الثانوية العامة بمجموع عال ، و تدخل الجامعة كلية الحقوق ، رغم أن مجموعها يؤهلها دخول كلية الاقتصاد و العلوم السياسية

أما الصغرى فقد قالت أمام الجميع أنها لا تريد من أخيها شيئا ، يكفي أنه يصرف عليها إلى ان تكمل تعليمها ، و أن تتزوج و يجهزها مثل أخواتها .

و فجأة توفيت الأم و أصبح هو و أخته في البيت لوحدهما ، و فكر تفكيرا عميقا في الزواج حتى تقوم هذه الزوجة برعاية البيت ، و فعلا وجدها ،

أوسه تلك التي يهرب العرسان منها ، و كان أبوها يشكو منها و هو في المقهى ، و فاتح والدها في أمر الزواج منها ، و نبهه والدها إلى ذلك الطبع السيء الذي تنتهجه في حياتها ، و مع الجميع ، و لهذا يهرب منها الخطاب ، و ضحك فؤاد و قال له :

لا تخاف أنا لن أهرب ، و لن أجعلها تمارس هوايتها الغريبة ، و سوف أجعلها توافق على الزواج مني برضاها ، دون غصب ، و هي مسرورة .

تمت الخطبة في حفل عائلي بسيط ، و لاحظ إنها ترتدي السواد ، فقال لها بسخرية :

هذا الفستان يليق بك ، و لونه جميل ، يظهر جمالك الفتان ، يا ريت كل هدومك تكون من هذا اللون .

في اليوم التالي أخذها بمفردها ، و نزل إلى الصاغة ليشتري لها الشبكة ، و قل لها أن تختار ما تريد .

نظرت نظرتها اللئيمة ، و أخذت ست غوايش ، و سلسلة ، و ما شاء الله و ضحك ، و دفع الثمن للبائع، و انصرفا إلى بيت أبوها .

لم تدع أحد من أخواتها ينظر فيما اشترت ، و قالت :

حتى لا تصيبني العين .

كان أبوها ينظر إلى فؤاد ، و هو يقول :

لقد كانت عقبة في سبيل زواج أخواتها البنات ، و الحمد لله أنت أنقذتني .

قال له فؤاد :

الفرح سيكون الخميس القادم .

قال الأب :

هل سألتها ؟

قال فؤاد و هو يضحك :

أنا لا استأذن امرأة ، رضيت ام لن ترضى سيكون الفرح يوم الخميس القادم .

غدا سوف أصحبها و اشتري لها فستان الفرح .

و بالفعل ، تم الفرح ، و أصبحت أوسه في بيت زوجها ، أصبحت أوسه خادمة له و لأخته .

حاولت و حاولت أن تتمرد على ذلك الموقف ، و لكنه نظر إليها نظرته المخيفة ، و استسلمت للأمر الواقع .

مضت سنة ، و أخرى و لكنها لم تنجب ، و ذهبت إلى أكثر من طبيب ، فعرفت أنها عاقر ، قد لا تنجب ، و بدأت في البكاء ، فاستسلمت لقدرها و حزنها .

حينما عرف انها عاقر ، وزع الشربات على كل الحي . ، و سأله أبوها لماذا ؟

فقال و هو يبتسم :

الولية عاقر يا حج .

و استغرب الأب من هذا التبرير .

الثأر

مضى عبد القوي في تنفيذ خطته التي وضعها ، فحرق بعض الأراضي الزراعية في النجع ، و قتل اثنين من أفراد الأسرة التي كان له ثأر عندها ، و قفل راجعا من حيث جاء دون أن يترك أثرا وراءه .

انتقل بسيارة الربع نقل لتكملة ما بدأه ، و لكنه فوجئ هذه المرة بأن الشرطة تطوق مداخل القرية في أحكام شديد ، و لهذا استدار بعربته و رجع إلى المدينة .

استغرب أخاه من عودته مبكرا ، و هو الذي أعتاد أن يأت قرب الفجر ، و بين له أن الشرطة و الجيش تحاصر القرية ، و لهذا فسوف يتمهل في تنفيذ خطته حتى تخف هذه المحاصرة ، أو تنتهي ، و لهذا فهو يؤجل تنفيذ مهمته .

و طلب من أخيه أن يعود إلى القرية ، و أن يثبت لهم مكان تواجده عند أحد الزملاء في الجامعة ، و إنه عائد بعد أن سمع ما يدور في القرية .

استمر التحقيق يومين كاملين دون نتيجة تذكر ، و أخيرا أطلق سراحه ، بعد أن قال زميله أنه كان عنده ، و أنه يستقبله في فترة الدراسة ليكون قريب من الجامعة.

حاول المحققون أن يعرفوا مكان عبد القوي ، و لكن دون جدوى ، فقد قالت أسرته ، بل جيرانه ، أنه خرج من القرية منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما ، بعيدا عما يدور في القرية ، و أن لا أحد يعرف مكانه . بل قالت أمه أنها تعتبره مات لأنه جبان هرب من مواجهة الثأر ،و جلب لهم العار .

♥

عاد عبد القوي إلى حياته الطبيعية ، و إلى مداعبة أولاده وزوجته ، و رغم أن ذلك الشيء لم يفعله من قبل ، إلا أن عديلة أرجعت الأمر إلى مزاجه المتقلب ، و قالت له صراحة يكفي ثلاثة أولاد ، و أنا لا أريد الرابع .

كانت ابتسامته تدخل على أنه اقتنع بما تريد أن تقوله زوجته ، و لكن في حقيقة الأمر ، لقد شعر بالراحة أنه استطاع أن يأخذ بالثأر ، و أنه الآن في فترة راحة ، حتى يبلغه أخوه أن قبضة الأمن قد خفت عن القرية ، بل زالت عن القرية تماما .

ابتسم لعديلة و قال لها بحنان بالغ لم تعهده من قبل :

أظن أنك على حق ، ثلاثة عفاريت كفاية ، المهم أن تربي هذه العفاريت تربية سليمة .

نظرت إليه عديلة باستغراب ، و هي تحاول أن تجد سر هذا التغير المفاجئ ، و لكن دون جدوى .

و سألت نفسها هل هذا بسبب زيارة أخيه التي لم تستمر غير ليلة واحدة ، عاد بعدها من حيث أتى دون أن تعرف لماذا جاء .

و حاولت ان تسأل زوجها عبد القوي و لكنه لم يجيبها ، و عاد لمداعبة الأولاد ، بل أجلسها بجانبه ، و أخذ يداعبها بحنان هي الأخرى .

لقد شفى غليله ، و ارتاح نفسيا ، و سوف تكشف الأيام أمام أمه أنه هو الفاعل لا أحد غيره .

و ظل على انتظار مكالمة أخيه بأن الهدوء عاد إلى النجع ، و أن الجيش قد رحل ، و لم يتبق ألا الشرطة المحلية .

عدنان يبدأ حياته

قال عدنان لأمه بعد أن تخرج :

سوف أنزل للعمل عند محامي صديق والدي ، و سوف أذهب إلى الجامعة لتسجيل اسمي في قائمة إعداد الماجستير .

قالت أمه في رقتها المعهودة و حنانها الزائد :

سوف أفتح لك مكتب تعمل فيه .

قال عدنان و هو يبتسم :

مازال الوقت مبكرا على ذلك ، سوف أتدرب أولا عند المحامي لكي تكون لي خبرة التعامل مع الناس ، و أنا أعد رسالة الماجستير ، و لكن لي طلب منك .

نظرت إليه باستغراب ، ثم قالت :

أنت تطلب و أنا سوف أنفذ ما تطلبه يا قرة عيني .

قال لها و مازالت الابتسامة على وجه :

سوف تذهبين أنت و أختي إلى بيت السيدة إسراء لخطبة ابنتها هيفاء .

قالت أخته عديلة و هي تنظر إليه مستغربة :

و لكنها مازلت طالبة ، و لا أظن أنها ستوافق عل الزواج الآن .

قالت الأم مقاطعة و مازالت ترقرق صوتها :

أنت تطلب و أنا سوف أقوم بتلبية طلبك ، فأنا أريد أن أرى أولادك قبل أن أموت .

قال لها بجدية :

مازال الوقت مبكرا على ذلك .

♥

في زيارة تعارف ذهبت السيدة رقية إلى إٍسرة هيفاء ، و تبادلا التعارف دون أن تفصح عن سبب الزيارة ، و إن كانت هيفاء قد عرفت السبب .

قالت هيفاء و هي تودع السية رقية :

نرجو أن تتكرر الزيارة

♥

كان عدنان في فترة الخطوبة يخرج مع هيفاء كل خميس حتى لا يعطلها عن دراساتها، و رسالته .

كانت سهرة الحميس فريدة و عجيبة ، يصحبها إلى أحد الكازينوهات ، و يتناولان العشاء في أفخم المطاعم ، أو يذهب

بها إلى السينما أو المسرح ، و يعود بها إلى بيت أمها التي كانت تظل ساهرة حتى ترجع ابنتها .

و فجأة قال أخوها فؤاد بعد أن أخذت شهادتها الجامعية أنها يجب أن تتزوج الآن ، قالت له :

مازال أمامي شوطا كبيرا في رسالة الماجستير و الدكتوراة .

قال لها :

سوف تكملي الرسالة في بيتك ، و سوف اعطيك كل ما تحتاجين ، و سوف أضع لك خادمة ، تعتني بالبيت .

قالت لها و هي شبه غاضبة :

هل تريد أن تتخلص مني .

ابتسم و قال لها بحنان :

لا ، و لكنني أريد أن أعيش مع أمي و زوجتي ، يكفيها أن تخدم أمي . و يكفيني أن أراك في بيتك سعيدة .

و تحدد موعد الزفاف الذي أقيم في إحدى فنادق القاهرة ، و سافر الزوجين لقضاء شهر العسل .

أوسه و الغيرة العمياء

أصبح البيت خاويا ، بعد أن غادرت هيفاء البيت إلى بيت زوجها ، و أصبح فؤاد و أمه و أوسه بمفردهما في البيت ، يهبط ظهرا إلى المقهى ، و يصعد لتناول طعام الغداء ، و لا يعود مرة أخرى إلا بعد أن ينتصف الليل .

و بعد أن ماتت أمه أصبح هو و أوسه في الشقة لوحدهما ، تنظف و تطبخ و تغسل .

عرفت أوسه بزواج فؤاد من تلك السيدة التي تدعى ابتسام في البيت المواجه لبيتها ، و ملأ الغيظ قلبها ، رغم أنه طمأنها أنه لن يبات خارج البيت ، و أن هذا زواج مصلحة ، و لكنها لم تقتنع بذلك و لم تطمئن إلى كلامه.

♥

بعد أن تم ما قامت به من إبلاغ أوسه الشرط أن زوجها يبيع المخدرات ،و بعد أن داهمت الشرطة المقهى ، و البيت ، أراد أن ينتقم منها ، فأحضر لها خادمتان تقوم بأعمال البيت ، و مراقبتها ، عدم خروجها من البيت مهما كان السبب ، بل و النوم في حجرتها .

كان يرسل إليهن مع الأخرس كل طلبات البيت من خضار و فاكهة .

و هكذا أصبحت أوسه حبيسة البيت ، لا تستطيع أن تغادره ، لقد حاولت مرة ان تتسلل من البيت ، و لكن الخادمة منعتها ، و رغم ثورتها ، و صعود فؤاد على صوت الشجار.

هددت فؤاد بأنها سوف تحرق نفسها ، أو تذبح نفسها .

قال فؤاد لإحدى الخادمتان :

إذا ذهبت إل الحمام فأذهبي معها ، و لا تتركيها بمفردها مهما حدث ...

و هكذا ضيق عليها الخناق . فأخذت تبكي و تصرخ دون أن تجد من يسمعها من هذا الموقف .

كانت تعرف أنه لا ملجأ لها إلا فؤاد ، فالجميع يكرهونها ، و حتى اختيها سافرتا ، و لم يتبقى إلا والدها المسن ، و خادمة جلبها فؤاد لخدمته .

و استسلمت للأمر الواقع فلا مفر من هذا السجن ، فهى التي سعت إليه بحماقتها ، و لكن الندم لن يفيد ، و فوق تقيد حركاتها كانت الساجنتان اللتان وضعهما زوجها لا يفارقنها ، حتى إذا أردت ان تستحم ذهبت احداهما معها إلى الحمام.

هيفاء و أوسه

ذهبت هيفاء إلى منزل أخيها ، و طرقت الباب ، ففتحت لها امرأة .. استغربت هل فؤاد استقدم خادمة ثالثة ، وزوجته حبيسة البيت لا شغل لها .

و دخلت بعد أن ألقت السلام ، ذهبت إل حجرة أوسه ، و طرقت الباب ، ثم دخلت الغرفة لتجد أوسه جالسة و أمامها امرأة أخرى فزاد استغرابها .

طلبت هيفاء من المرأة أن تغادر الغرفة ، و لكن المرأة لم تحرك ساكنا ، بل ظلت جالسة في مكانها ، فزاد غضبها ، تمالكت نفسها ، و فتحت الموبايل ، و أتصل بأخيها فؤاد أن يصعد إلى شقته حالا ، و بالفعل صعد فؤاد ، و نظر إلى أخته

مستغربا هذه الزيارة ، و هي التي لم تزره إلا مرة واحدة ، و ذلك في صباحيته .

هبت هيفاء في فؤاد و بدأت في افراغ غضبها عليه ، و قالت له :

لقد طلبت من هذه المسخ أن تغادر الغرفة لأتحدث مع أوسه ، و كأنها طرشة لا نسمع ، و على وجهها ابتسامة بلهاء ، من أين أتيت بهذه الأشكال .

قال فؤاد بسخرية :

لا تعرف من أنت .

قالت هيفاء :

حتى ولو لم تعرف أنا أريد أن أتحدث مع أختي حديث حريم ، و لا يصح الرجال أن يجلسوا معنا .

ضحك فؤاد و طلب من المرأة أن تغادر الغرفة .

قالت هيفاء :

و أنت كمان .

♥

انفردت هيفاء بأوسه و سألتها :

ماذا حدث ؟

قالت أوسه بنرفزة :

لقد تزوج علي .

قالت هيفاء :

أكملي الحكاية بدون تقطيع .

قالت أوسه :

بعد ان تزوج من هذه المرأة التي تسكن أمامنا ، بلغت عنه الشرطة أنه يتاجر في المخدرات ، وجاءت الشرطة ، و فتشت المقهى ، بل و صعدت إلى الشقة ، و فتشت الشقة ، طلبت منه الطلاق لكنه رفض و قال لي :

إذا طلقت فأين تذهبين أبوك لا يريدك و أختك لن تستقبلك ، و أنت لن أفرط فيك كما وعدت أبوك .

و حبسني في البيت ، و جاء بهاتين المرأتين المتوحشتين لحراستي ، إذا نمت جلست احداهما أمامي ، و إذا ذهبت إلى الحمام دخلت معي ، و هما يطبخان ما يحلو لهما ، و بالغصب لازم أكل ، و إلا كثفتني أحداهما و وضعت الأخرى الطعام في فمي ، و الشاي لا أشربه إلا في الصباح ، و هما يشربان ما يحلو لهما و امامي .

قال هيفاء و هي تبتسم ،بل تكاد تضحك ، بعد أن سمعت ما قالته أوسه :

سوف أتحدث معه ، و لكن عليك أولا أن تحسني تصرفاتك ، و لا داعي لهذا الجنان ، و سوف أطلب منه أن يأخذ هاتين المرأتين من هنا ، بل سوف يشتري لك ملابس حريمي لتكوني أنثى جذابة في نظره .

و اتصلت بأخيها فصعد ، و أخذته في حجرة ثانية ، و قالت له كل ما يحلو لها ، و حاول أن يعترض ، و لكنه أرغمته على السكوت و قالت له :

أنا ضامنة أوسه ، وسوف تجدها امرأة أخرى غير أوسه الحقود السابقة .

ضحك و قال : يا ليت .

قالت له :

و الآن أسحب هاتين الجاموستين من الشقة ، و سوف أزور أوسه و اعرف منها كل التطورات التي حدثت .

عبد القوي و أخوه

اتفق عبد القوي مع أخيه على أن يؤجر شقة في المركز بجوار محطة الأتوبيسات ، أو الميكرو باصات ، أو في سوق شعبي ، و أن يشترى موبايل اسم صديق له ، أو أحد العاملين في الجامعة .

و بالفعل نفذ عبد الشكور ما طلبه منه أخوه ، وحددا الاثنين موعدا ثابتا للحديث مع بعضهما البعض للاطمئنان على الأحوال سواء في الدوار ، أو النجع ، و إذا ما حدثت مشكلة ما عليه أن يكتب له رسالة يحدد فيها بكلمات قليلة موعد اللقاء الذي يتحدثان فيه .

♥

و بالفعل جاءت رسالة من عبد الشكور إلى أخيه عبد القوي ، أنه يريده في أمر هام جدا .

و اتفقا من خلال الرسائل على موعد .

في الليلة المتفق عليها جاء عبد القوي بالميكروباص متخفيا ، ثم ذهب إلى الشقة بعد أن غير الطريق أكثر من مرة ، خوفا من أن يكون أخيه مراقب .

قال له عبد الشكور :

لقد اختفت الشرطة و الجيش من القرية ، و لكن هناك بعض المخبرين من رجال الشرطة يحومون في القرية ، لعلهم يجدوا أثرا يدلهم على الفاعل للحريق و القتل .

سكت عبد الشكور قليلا من الوقت ، و قد تغيرت نظراته تغيرا كاملا ، و قال لأخيه :

لقد أحببت إحدى زميلاتي في الجامعة ، و أريد أن أتزوجها.

ضحك عبد القوي ، و قال لأخيه :

ليست هناك مشكلة لنذهب إلى عائلته و نطلبها لك ، إلى أن تنهي أنت و هي الجامعة .

قال عبد الشكور :

ليست هذه هي المشكلة .

نظر إليه عبد القوي بقلق و قال له :

فما هي المشكلة ؟

المشكلة أنها ابنة الحاج عبد المجيد عبد الرزاق .

و تجمد عبد القوي للحظات ، ثم قال :

نفس العائلة التي قتلت جدك و أبوك .

نفس العائلة .. هكذا قال عبد الشكور .. و لكني لم أعرف ذلك إلا بعد تبعتها و تقصيت أخبارها .

قال عبد القوي بهدوئه المعروف ، محاولا رسم ابتسامة على وجهه :

سأجد لك حل . فلا تتسرع .

و افترق الاخان كل عائد إلى بيته ، وقد كسا الحزن ملامح كل منهما ،

كان الهم باديا على وجه عبد القوي ، و ما إن عاد إلى بيته ، حتى طلب من زوجته أن تهتم بالمحل لبعض الوقت ، لعدة أيام ، و ألا تفتح البيت إلا بعد أن تعد الطعام ، طعام الغداء .

نظرت زوجته عديلة إليه ، محاولة أن تستشف ما به من تغيير ، و لكنها لم تجد إلا الحزن و الهم يكسيان وجه ، بل أن وجه قد أصفر .

سألته ما به ، فتكلف الابتسام ، و قال لها :

لا شيء .

قالت له :

أعرف إنك سافرت إلى النجع ، فهل كل أهلك بخير ؟

قال و هو شارد الذهن تماما :

كلهم بخير .

كانت اجابته البسيط مما زاد الشك في داخلها ، و لكنها تركته ، و ذهبت لتعد العشاء .

أوسه و نظيرة

ما إن نزل فؤاد من شقة أوسه ، حتى لبست العباءة فوق جلباب البيت ، و طرحة فوق الشعر المنكوش ، و أسرعت تخرج من البيت إلى البيت المقابل لها ، بيت ضرتها .

صعدت درجات السلم قفزا ، و وقفت أمام الباب ، بدقات متتالية و كأنها لحن موسيقى لموسيقار خائب .

فتحت نظيرة (الزوجة الثانية لفؤاد) الباب ، فوجدت أمامها أوسه الزوجة الأولى ضرتها ، و أصابتها الدهشة بشلل مؤقت ، فلم تعرف إلا النظرة التي رمقت بها ضرتها ,

بادرتها أوسه لتخرجها من دهشتها و استغرابها " قائلة :

ها أفضل واقفة على الباب كتير .

ثم دخلت – بعد أن ازاحتها برفق – إلى الصالون ، و جلست بعد أن خلعت عن جسدها العباءة السوداء .

و حينما وجدت أن نظيرة ما زالت في غيبوبة من هول المفاجأة ، قالت لها و هي تبسم :

أشرب شاي تقيل ، و سكر خفيف .

و ضعت نظيرة الشاي أمام أوسه ، و هي تنظر إليها ، تحاول أن تعرف سبب هذه الزيارة الغير متوقعة ، دون جدوى ، و بعد أن رشفت أوسه أول رشفة من الشاي قالت لها :

أختي ، أريد أن تساعديني في تغير مظهري ، شكلي ، طريقة لبسي ، طريقة كلامي .

و أخيرا ضحكت نظيرة ، و قد أفاقت من دهشتها و استغرابها لهذه الزيارة ، و قالت :

أنا

قالت أوسه :

نعم أنت ، بما إنك جبتي الجاموستين لحراستي ، فأنت تعرفين الكثير الذي سوف أتعلمه منك .

قالت نظيرة لأوسه :

أولا أدخلي أغسلي شعرك .

♥

بعد أن جففت أوسه شعرها ، قالت لها نظيرة :

سوف ننزل الآن ، و سأذهب بك إلى الكوافير .

قالت نظيرة و هي تضحك :

بهذا الجلباب و العباءة و الطرحة .

عند الكوافير قالت نظيرة للعاملة :

اريد أن أغير شكل هذه السيدة .

نظرت إليها العاملة بعد أن نزعت الطرحة نظرة اشمئزاز ، و تأفف ، ولكنها مهنتها ، و لابد أن تنفذ ما تأمر به .

لم تمض غير نصف ساعة حتى تغير شكل رأس أوسه ، فنظرت إلى المرأة ، و كأنها تستغرب من هذه المرأة .

♥

ذهبت نظيرة و أوسه إلى محل الملابس و ابتاعت لها فستان بها بعض النقوش و جيبة و بلوزة ، و بنطال و قميص ، و بيجامة قصيرة ، و قمصان نوم قصيرة و طويلة و عادتا إلى بيتها .

لمح فؤاد زوجته نظيرة و معها امرأة أخرى ، و هي تدخل من باب البيت ، و لكنه لم يعرف من هي هذا المرأة ، و إن كن قد شك في أن تكون زوجته اوسه ، برغم التغيير في ملامحها .

حاولت أوسه أن تستأذن و لكن نظيرة لم تأذن لها إلا بعد الغداء . و اتصلت بالحاتي الذي في المنطقة و طلبت منه ست طلبات كفته و كباب و طرب و سلطات منفصلة لكل طلب .

ما إن وصلت الطلبات حتى أرسلت حاملها إلى المقهى بطلبين ، و ابنها بطلب، و الباقي في الشفة لها و للأوسه و للخادمة ،

بعد تناول الغداء و شرب الشاي غادرت أوسه ، و معها الأكياس التي اشترتها .

حينما عادت أوسه إلى شقتها ، استسلمت للنوم ، و لم تدري كم من الوقت نامت ، فقد هجم الليل عليها ، و فقامت و لبست البيجامة ، و فتحت التلفاز لقضاء الوقت .

انتصف الليل ، فدخلت إلى حجرة النوم ، و بدلت البيجامة بقميص نوم ، و خرجت إلى الصالة وجلست بعد أن أطفئت الأنوار جميعها في الشقة .

حينما عاد فؤاد من المقهى ، و فتح الباب ، و وجد الأنوار مطفأة ، استغرب ، فأوسه من عاندتها أن تنام و نور الصالة و غرفة النور مضاءة .

فتح النور ليجد أمامه أوسه بشكلها الجديد ، قد احتضنته ، قبلته على غير عادتها .

استغرب لهذا التبدل الملفت بالنظر ، تسريحة شعرها ، قميص نومها ، قبلتها التي لم تفعلها حتى يوم تزوجها ،

قالت له :

ما رأيك في هذه المفاجأة ؟

قال لها :

هل خرجت اليوم ؟

قالت له برقة :

نعم أنا و نظيرة .

و كأن المفاجأة تلو المفاجأة تتوالى عليه ، و لكنه شعر أن كلام أخته قد بدأ يسري في عقل أوسه ، بل في شكلها ، و الأغرب اجتماعها بضرتها .

عبد القوي و الصلح

سافر عبد القوى إلى محافظته ، و هناك قابل المحافظ ، و شرح له القصة ، فاستدعى المحافظ مأمور المركز التابع له ، و طلب منه أن يتوسط بين العاشرتين ، و مرة أخرى شرح عبد القوي قصته ، و نظر المحافظ إلى المأمور الذي ابتسم و قال للمحافظ :

سأنجح إن شاء الله في حل هذه المشكلة ، و إن كانت تحتاج إلى وقت .

قال المحافظ :

خذ رقم و عنوان الحاج عبد القوي ، و حين تكون جاهز ، اتصل به ليأتي ، و أتصل بي لأحضر هذا الصلح .

♥

في مناقشات عديدة أستطاع المأمور أن يقرب المسافة بين الطرفين ، و قرر عقد مؤتمر الصلح عند عائلة عبد القوي .

و في اليوم المحدد جاء عبد القوي و المحافظ - في حراسة مشددة - لحضور مؤتمر الصلح ، و بعد أن تناول الجميع الغداء ، و شربوا الشاي .

تقدم عبد القوي و صافح الشيخ عبد المجيد ، و انتهت المشكلة في وسط الزغاريد و الهتافات .

و فجأة قال عبد القوي للشيخ عبد المجيد :

لي طلب عندك ،

فقال الشيخ عبد المجيد :

أطلب و الأمر لله .

قال عبد القوي :

حتى نتمم هذا الصلح بنهاية سعيدة ، أريد أبنتك لأخي .

و كادت المفاجأة أن تشل الشيخ عبد المجيد ، ولكنه تمالك نفسه بسرعة ، وقال لعبد القوي بهدوء ، و أنا أريد أن أتمم هذا الصالح :

أريد أن أتزوج أمك .

و كاد الموقف أن يتكهرب و ينتهي المؤتمر بما لا يحمد عقباه ، قفزت أم عبد القوي ، و هي تعرف التقاليد ، أن الزوجة بعد أن يقتل زوجها أو يموت يجب أن تتزوج أخاه ، أو أي أحد من أفراد أسرته .

قالت الأم :

و أنا موافقة ، و لكن بشرط أن يسكن الشيخ عبد المجيد في داري . و وافق الأخير على ذلك .

و أن تتم الأفراح في الساحة الواسعة بين القبيلتين .

و كاد أن ينشب الشجار مرة أخرى ، فكيف لامرأة أن تظهر في مجلس الرجال ؟ ، بل كيف لها أن تتجرأ و توافق دون أن تأخذ رأي رجال عائلتها ،

و استطاع المحافظ بخبرته و حنكته أن يحتوي الموقف ، بل طلب من مأذون كل عائلة أن يأتي ليتمم هذا الاتفاق .

♥

في قديم الزمان كان الشيخ عبد المجيد يراقب أم عبد القوي ، و هي تملأ البلاص من الترعة ، و اعجب بها و بقوامها المشوق ، و كان يتخفى حتى لا يراه أحد ، و لكنها لمحته أكثر من مرة ، و لكن التقاليد كانت تمنع كل منهما باللقاء أو بالحديث، و كتم كل منهما في قلبه ما يدور في فكره ، تزوجت الأم من أحد أفراد عائلتها ، و تزوج الشيخ بفتاة من عائلته ، و هكذا طوي الزمان صفحة الحب المكتوم .

♥

أقيم الفرح في الجرن الخالي بين العشيرتان ، خيمة للرجال ، و أخرى للنساء .. فاجتمع بذلك كل أفراد القبيلة رجال و نساء و أطفال فساد الوئام بين الجميع .

♥

اسرع عبد القوي إلى عدنان ليحضر زوجته و أولاده إلى النجع

أسبوع قضاه عبد القوي هو و المحافظ و المأمور و قوات الأمن في ضيافة الأسرتين ،

و شدد المأمور و المحافظ على أن يسود الوئام العائلتين ، و إن أي نزاع سيؤخذ بالقوة .

أفراح عدنان و هيفاء

يوم جميل ذلك الذي تمت فيه مناقشة رسالة الماجستير لعدنان ، اجتمعت الأسرة و الأصدقاء في لجنة المناقشة ، و بعد مناقشة حامية استمرت ما يقرب من ثلاث ساعات ، أعلنت اللجنة منح الطالب عدنان رسالة الماجستير بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف ، ودوى التصفيق أرجاء القاعة .

و قف الدكتور المشرف على الرسالة ، و بعد أن أعلن النتيجة قال لعدنان .

الرسالة رائعة ، و لهذا قررت اللجنة و الجامعة طبعتها على نفقة الجامعة ، و توزيعها على الجامعات الأخرى ، و تقديم مكافأة خاصة للطالب الدكتور .

وقف عدنان ، و أعلن فخره بتقدير اللجنة له و لرسالته و طبعها و توزيعها ، أما المكافأة فأنه تبرع بها لطلاب الجامعة المعوزين ليستطيعوا تكملة تعليمهم .

و للمرة الثانية دوت القاعة بالتصفيق الحار و الذي استمر لأكثر من خمس دقائق .

♥

و في الأسبوع التالي تمت مناقشة رسالة الماجستير للطالبة هيفاء زوجة عدنان ، و اجتمعت الأسرة و الأصدقاء في لجنة المناقشة ، و بعد مناقشة حامية استمرت ما يقرب من ثلاث ساعات كذلك ، أعلنت اللجنة منح الطالبة هيفاء رسالة الماجستير بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف ، ودوى التصفيق الحار ارجاء القاعة .

قال الدكتور المشرف على الرسالة : لقد ظننت في اول الأمر أن الرسالة في التربية ، و بعد إعادة قراءتها تبين انها تحفة فنية في القانون ، بأسلوب سهل ممتنع للطالبة المهدة للرسالة ، و قد قررت الجامعة طبعتها على نفقة الجامعة ، و توزيعها على الجامعات الأخرى ، و تقديم مكافأة خاصة للطالبة .

وقفت هيفاء ، و أعلنت فخرها بتقدير اللجنة لها و لرسالتها و طبعها و توزيعها ، أما المكافأة فأنها تتبرع بها لطالب الجامعة المعوزين ليستطيعوا تكملة تعليمهم .

و للمرة الثانية دوت القاعة بالتصفيق الحار و الذي استمر لأكثر من خمس دقائق، بل و انطلقت الزغاريد مجلجلة .

♥

اتفق عدنان و هيفاء على إقامة حفل يجمع العائلة و الأصدقاء و الدكاترة ، و كانت المناسبة في منحهما رسالة الماجستير ، بالإضافة إلى غيد ميلاد ابنهما و بنتهما .

كان الحفل رائعا ، حيث ساهم فؤاد أخو هيفاء في تقديم بعض الفقرات الغنائية .

أفراح عبد القوي

في النجع اجتمع أفراد العائلتين و الضيوف .. الرجال في صوان خارج البيت، و النساء في صوان آخر ، و تم عقد قران الطرفين في يوم واحد ، و بدأ بعد الغداء الطبل و الزمر و الغناء خارج الدار و داخله .

و كالعادة تم دخلة الفتاة للتأكد من سلامتها ، ثم تم عقد قران الشيخ عبد المجيد و أم عبد القوي .

استمرت الأفراح ثلاثة أيام ، و أنصرف الجميع إلى ديارهم .. و سافر عبد القوي و من معه المعازيم .

♥

كان مشكلة الشيخ عبد المجيد أن يبقى مع عروسه ، و أن يباشر أعماله كبير العائلة في الطرف الاخر .

ما إن يحل الفجر حتى يذهب الشيخ إلى قبيلته ليؤم الصلاة جماعة .. ثم يعود إلى دار زوجته . و اقترح عليه الكبار أن يعين مأذون العائلة شيخا للجامع فيؤم الصلاة .. و يأتي الشيخ عبد المجيد براحته بعد الفطور و بمكث مع العائلة لمباشرة أعمال العائلة .

♥

أما عبد الشكور ، فبعد أسبوع كان يأخذ زوجته ، و يذهبان إلى الجامعة في المركز كل يوم ، رغم أن عبد الشكور كان لديه شقة في المركز .

بعد أن انتهت الامتحانات ، أخذ زوجته و أمه و الشيخ عبد المجيد لقضاء بضعة أيام في قرية سياحية من قرى الغردقة

كانت السعادة ترفرف على القلوب بعد أن ولت الأحزان إلى غير رجعة .

و عاد الجميع إلى النجع لتبدأ حياتهم العادية ، و تستمر شئونهم .

مضى ما يقرب من العام ، و كانت المفاجأة غير المتوقعة ، أن تعلن الأم أنها حامل ، فاصطحابها الشيح ابنها عبد المجيد إلى مستشفى المركز ، و تأكد حملها ،

كانت غير مصدقة هل في مثل هذا السن تستطيع أن تنجب ، فضحكت الدكتورة ، و قالت أن الله قادر على كل شيء .

ثم كشف عبد المجيد على زوجته ، فتأكد حملها هي الأخير, و قلت لهم الطبيبة ، لتحديد جنس المولود ستأتون بعد شهر تقريبا .

أفراح فؤاد

كانت مفاجأة جميلة تلك التي أعلنت فيها زوجتا فؤاد أنهما حاملتان .

أرسلت أوسة إلى فؤاد خادمتها الجديدة تطلب من فؤاد أن يصعد إليها بسرعة ، و بالفعل فقد كان تفكير فؤاد أن شيئا غير عاديا قد حدث ، و لهذا أسرع بالصعود إليها .

حينما وجدته أمامها ابتسمت ، ثم ضحكت بصوت عال و قالت :

أخيرا أنا حامل .

مفاجأة غير متوقعة ، و كاد أن يسقط أرضا ، لولا أنه تمالك نفسه ، ثم قال لها باضطراب واضح :

ارتدي عباءتك بسرعة ، سوف نذهب إلى المستوصف للتأكد من الحمل .

في المستشفى و بعد التحاليل اللازمة ، أكدت الدكتورة المعالجة أنها بالفعل حامل ، و إنها لابد لها من الرحة التامة حتى يثبت الجنين ، و أن تبتعد عن أي حمل ثقيل أو مجهود بدني .

عادا إلى البيت ، و نبه على الخادمة ألا تقوم أوسة بأي عمل ، و أن تستريح تماما . ثم قال لأوسة :

لو سمعت او عرفت إنك بذلت أي مجهود ، فسوف أحضر لك الحارستين السابقتين .

فأسرعت تتوسل إليه :

سوف ارتاح ،و أبعدي عني الجاموستين .

ضحك و نزل إلى المقهى و ما كاد أن جاء خبر من البيت الثاني بيت نظيرة تطلبه بسرعة .

قال في نفسه :

نظيرة لم تفعل ذلك من قبل لابد أن يكون حدثا خطير قد حدث .

أسرع بالصعود إليها ، فإذا بالخادمة تفتح الباب ، و إذا بنظيرة على غير العادة تحتضنه و تقبله في وجود الخادمة .

قال لها و هو يشعر بالاطمئنان :

خير إن شيء الله

قالت وهى تضحك :

أنا حامل .

هذه المرة لم يتمالك نفسه ، فترنح ، لولا أن ساندته نظيرة و الخادمة .

قال لها ارتدي ملابسك بسرعة .

في المستشفى ابتسمت الدكتورة و قالت لفؤاد :

خير إن شاء الله

قال و هو يبتسم لها :

مثل الأولى .

قالت الدكتورة :

معقولة .

و اسرعت بعمل التحاليل اللازمة ، و أثبت الحمل ، و قالت لفؤاد :

هذه لا تحتاج إلا للراحة فقط

عادا إلى البيت ، و نبه على الخادمة أن تعتني بسيدتها ، و إلا جاء بالحارستين .

ضحكت نظيرة و هي تقول له بسخرية :

و أنا سوف أحرسهما .

نزل فؤاد على المقهى ، و قال للجرسون بصوت عال :

كل المشاريب النهارده على حسابي ، و كمان وزع الشاي و القهوة على جميع المحالات ، و سأقف أنا على (النصبة) .

أحزان

كان من عادة والد أوسة أن يذهب إلى المقهى بعد صلاة العصر ، فيقرأ بعض آيات الذكر الكريم ، و يجلس في ركن من أركان المقهى يشرب فنجان القهوة ، و لا يقوم إلا حين يؤذن المؤذن لصلاة المغرب .

منذ ثلاثة أيام لم يظهر الشيخ رضوان والد أوسة ، و استغرب صبى المقهى لهذا التأخير ، فأبلغ معلمه فؤاد بذلك ،

الذي لم يكذب خبرا ، و ذهب إلى بيت الشيخ رضوان للاطمئنان عليه .

فتحت الخادمة الباب ، و رأت المعلم فؤاد ، فأخبرته بمرض الشيخ ، فقال لها أن تذهب إلى الطبيب و تحضره .

جلس فؤاد مع الشيخ ينظر إليه ، و هو في شبه غيبوبة لا يحس بما يدور حوله.

عندما حضر الدكتور ، و كشف عليه ، أعطاه حقنة ، وقال لفؤاد سوف يفيق بعد ساعة ، و كتب روشتة و أعطاها للمعلم فؤاد ، و نزل معه لشراء الدواء ، و طلب قبل نزوله من الخادمة أن تعمل شوربة ، و سوف يرسل له دجاجة .

عاد فؤاد من الصيدلية ، و بدأ في إعطاء الدواء للشيخ رضوان ، و قال للخادمة متى تعطي الدواء للشيخ ،

أشار الشيخ للخادمة أن تنصرف ، فانصرفت لتعد له الدجاجة و الشوربة .

قال الشيخ رضوان بصوت خفيض للعلم فؤاد ، هناك سر سوف أقوله لك :

قال المعلم فؤاد :

ارتاح الآن سوف أصعد إليك و معي ابنتك .

قال له الشيخ :

اسمع فأنا أحس إنني سوف أودع هذه الدنيا .

نظر إليه المعلم فؤاد مستغربا و منصتا لحديثه :

منذ أربعين عاما حينما كنت متزوج ، و كانت زوجتي لا تنجب ، خرجت من المسجد بعد صلاة الفجر ، فوجدت طفلة ملفوفة أمام الباب ، و سألت و استقصيت ، فلم أجد أحدا يعرف لمن هذه الطفلة .. أخذتها و عدت إلى البيت ، و سلمتها إلى زوجتي التي فرحت بها كثيرا ، بعد ثلاثة أيام حينما لم أجد من

يبحث عن الطفلة ، قلت لزوجتي أن أكتبها باسمي و اسمها فوافقت ، كانت الطفلة وش خير على زوجتي ، فها هي تحمل و تأتي لي بثلاث فتيات ، لم تفرق زوجتي بين البنات الأربع ، و اعتنت عناية فائقة بهن .

كانت أمي حينما بدأت في رعاية الفتيات بعد وفاة أمهن ، كانت تعاير البنت الكبيرة إذا أخطأت ، و تقول له إنها وجدت أمام باب المسجد ، و لكن البنت تعرف أو تشعر بما يقال ، حتى توفيت أمي أيضا .

فئت بهذه الخادمة لتعتني بالبنات ، و الحمد لله اعتنت بهن و بالبيت ، فقد كانت هي مقطوعة الشجرة ، لا أهل لها ، و لا أولاد ، و فكرت أن أتزوجها و لكنها رفضت و قلت لي أنها تكفيها أن أويتها في بيتي .

كان المعلم فؤاد يستمع إلى حديث الشيخ رضوان ، و لم يشأ أن يقاطعه ، حتى أخذ الشيخ مرة أخرى في غفوة قصيرة ، ثم أفاق ، و قال للمعلم فؤاد :

ارجوك أن تكتم السر ، فالطفلة اللقيطة هي أوسة ، فلا تقل لها في يوم من الأيام ذلك ، أما توزيع الميراث ، فيتم بالعدل بين البنات الأربع ، و الشقة و البيت فقد كتبتهما لأم الخير ، و قد كتبها عدنان بنفسه .

عاد فؤاد إلى المقهى ، و بعد أن شرب الشاي ، صعد إلى أوسة , أخبرها أن تذهب إلى أبيها و تظل معه إلى أن يخف ، و أرسل و استدعى البنات الثلاث ، لزيارة ابيهن المريض .

و كاد الشمل ان يجتمع حتى انطلقت الصرخات من شقة الشيخ رضوان معلنة وفاته .

أسرع فؤاد بتجهيز المتوفي ،و دفنه ، ثم أقام صوان كبير في الشارع ، و أحضر بعض المقرئين لليلة .

◆

بعد أن هدأ الوضع في البيت ، استدعى فؤاد عدنان ليقرأ وصية الشيخ ,.

و كانت الوحيدة التي شعرت بالحزن الشديد هي أوسة ، و أخذت تقبل يد فؤاد لأنه ستر أبوها . و انصرف الجميع كل إلى بيته ، و جلس فؤاد مع أم الخير يطيب خاطرها ،و قال لها :

وصية الشيخ أن تظلي في البيت ، و و كتب لك كل شيء تحتاجين إليه في البيت ، و لا تحتاجين لأحد ، بل سوف أضع لك خادمة تعتني بك - و تسهر على راحتك .

كانت قطرات الدمع تتساقط من عيون أم الخير ،و أخذت تدعو لفؤاد .

مشاكل في النجع

أثارت أم عبد القوي مشكلة كبرى في النجع حين أعلنت أنها حامل ، امرأة تخطت الستين تكون حامل .. نعم لقد فرح الشيخ عبد الشكور ، كما فرحت ابنته لأنها سيكون لها أخ ، و لم يعلن عبد المجيد عن رأيه حتى لا يغضب زوجته ، أم عبد القوي فقد فرح لهذا النبأ .

كانت العائلة كلها مستغربة من هذا الخبر ، فكيف لمرأة في هذا السن أن تكون حامل ، و هذ الحمل سيقرب بين العائلتين ، و لهذا كانت الآراء متناقضة ، بين مهنئ و بين حاقد .

و في الطرف الآخر ، رغم الاستغراب إلا الجميع هنأ الشيخ بهذا المولود ، حتى أخيه عبد الودود كان غير مرتاح لهذا النبأ ، فهذا المولود الجديد ، إن كان ذكر سيسلبه جزءا كبيرا من ثروة أخيه ، بل سيكون الميراث من نصيب أولاد الشيخ بين ابنه و ابنته و زوجته التي ستدخل بهذا الميراث في أملاك العائلة.

و لكن لا حل لهذه المشكلة ، فأي تهور من جانب عبد الودود سيثير مشاكل كثيرة ، بل سيلغي الصلح بين العائلتين ، و يبدأ الصراع من جديد ، و سيكون هو المشتبه الوحيد في هذه المشكلة .

♥

أسرع عبد القوي و زوجته إلى النجع فهنأ أمه و قبل يدها و رأسها ، و قد لمحت زوجته أن أمه كانت مكسوفة ، و أطرقت رأسها إلى الأرض .

قالت عديلة تلطف الجو :

مبروك يا أمي ، و أنا فرحت يا أختي لأن يكون لك أخ .

و لنفلت عبد القوي من هذا المجلس الحريمي ، و ذهب إلى الشيخ عبد الشكور لتهنئته .

سار بحذر فالعيون كانت ترقبه ، و خصوصا أن له ثأر في عائلتهم ، و لكنه كان يسير دون أن يتلفت حوله حتى وصل إلى دوار الشيخ عبد الشكور ، و هنأه .

أقسم عليه الشيخ أن يحضر العزيمة التي ستقام على شرف أخيه المولود الجديد ، و لم يستطع عبد القوي أن يرفض رغم تلك العيون التي تحملق فيه.

♥

و كانت المفاجأة الثانية حين أعلن عبد المجيد أن زوجته رتيبة حامل ، فانطلقت الزغاريد في البيت ، بل في عائلة رتيبة

و طلب عبد المجيد من أمه ان تريح زوجته من أعمال البيت حتى تتفرغ للمذاكرة ، فالامتحانات على الأبواب ، و أيضا لأن الدكتورة قالت لها ألا تقوم بأي مجهود لأنها بكرية .

و هكذا انتشرت الافراح في العائلتين ، و بدأت الزيارات هنا و هناك تعبيرا عن المشاركة في الافراح .

♥

سافر عبد القوى وزوجته عديلة بعد أن انتهت العزومات التي أقامتها الأسرتان لهما .